ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

The fall of the Umayyad State (41H/132H). In the light of the absentee curriculum (prophecies). Analytical Study

Asst. Prof. Abbas Mohsen Harija(Ph.D)

Maysan Education Directorate

Email: dr.amh1985@gmail.com

Keywords:

The Umayyad state, metaphysical interpretation, prophecies

Article info

Article history:

Received 29.Sep.2024

Accepted 18.Dec.2024

Published 10.Febr.2025

A B S T R A C T

The study titled examines the philosophy of the factors affecting the fall of the Umayyad state in all its aspects according to a group of historians and modern researchers, whether those factors and theories were political, national, or Economic or those related to the social factor or the theory of plagues and their impact on the fall of the Umayyads. There is no doubt that all of these theories are effective, in certain proportions. In addition to that, there is a more effective and influential factor in the course of the fall of the Umayyads, which is the unseen factor (prophecies) and its role in moving events and determining their course. And follow its development.

The study focused extensively on the impact of the unseen factor in restricting the Umayyad political and military activity, especially in their decisive battle (Greater Zab) in the year 132 AH, in order to grant the Abbasid preachers a force that would regulate the success of their plans, especially in the philosophy of choosing the time, place, supporters, slogan, and method for the revolution, as all of these concepts were implemented. Employing it according to the context of the unseen news of the future received by them at that time.

The study reached the extent of the effective influence of the factor of prophecies on the collective mind at that time, whether it was in the influential Umayyad political circles that had detailed knowledge through epic and occult books that the Abbasids were the cause of their political demise in the East, and the same thing was reflected in the Abbasid preachers who had an occult vision. There was a wide reading of prophecies that they would defeat the Umayyads and the state they expected would be theirs, and all of that was fulfilled on the ground

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol58.Iss1.4139

سقوط الدولة الأموية (٤١هـ /١٣٢هـ) في ضوء المنهج الغيبي (النبوءات)
دراسة تحليلية

أ.م.د. عباس محيسن حريجة سلمان اللامي
مديرية تربية محافظة ميسان

الملخص

تبحث الدراسة الموسومة في فلسفة العوامل المؤثرة في سقوط الدولة الأموية من جوانبها كافة لجملة من المؤرخين والباحثين المحدثين، وسواء أكانت تلك العوامل والنظريات سياسية أم قومية أم اقتصادية أم تلك التي تتعلق بالعامل الاجتماعي أو نظرية الطواعين وأثرها في سقوط الأمويين، ومما لاشك فيه فاعلية جميع تلك النظريات، وبنسب معينة وبالإضافة إلى ذلك فإن هناك عاملاً أكثر فاعلية وتأثير في مسار سقوط الأمويين وهو العامل الغيبي(النبوءات) ودوره في تحريك الأحداث وتحديد مسارها ومتابعة تطورها.

وركزت الدراسة بشكل مستفيض على أثر العامل الغيبي في تقيد النشاط الأموي السياسي والعسكري لاسيما في معركتهم الحاسمة (الزاب الكبرى) عام ١٣٢هـ في قبال منح الدعاة العباسيين قوة تنتظم في نجاح مخططاتهم ولاسيما في فلسفة اختيار الزمان والمكان والأنصار والشعار والمنهاج للثورة إذ إنَّ كل تلك المفاهيم وظفت وفق سياق إخبارات المستقبل الغيبية الواردة عندهم حينئذ .

وتوصلت الدراسة إلى مدى الفاعلية المؤثرة لعامل النبوءات على العقل الجمعي آنذاك، سواء أكان ذلك في الأوساط السياسية الأموية المتنفذة التي كانت لديها معرفة تفصيلية من خلال كتب الملاحم والغيبيات بأنَّ العباسيين هم سبب زوالهم السياسي في المشرق ، والأمر نفسه ينعكس على الدعاة العباسيين الذين لديهم رؤية غيبية واسعة من قراءة النبوءات بأنَّهم سينتصرون على الأمويين وتكون الدولة المرتقبة لهم، وقد تحقق كل ذلك على أرض الواقع .

الكلمات المفتاحية: الدولة الأموية ، التفسير الغيبي ، النبوءات

المقدمة

تكمن أهمية الحركة التاريخية ومسار تطورها بأنَّها خاضعة لسنن وقوانين علمية ومنهجية تحكم مسارها وترسم معالمها وخارطتها، كما قال هورس "**أنَّ للتاريخ غاية نفعية تتطلب منه دقة علمية وأساليب صارمة**"،(هورس، ١٩٨٦م، ص ٢٨) ومما لاَ شكَّ فيه أنَّ سقوط الدول والحضارات وقيامها يقع ضمن تلك الحركة، ولا سيما إذ تظافرت جملة من العوامل والمسببات فإن ذلك سينتج وضعاً جديداً أما الزوال أو القيام، وفقاً لطبيعة الاوضاع وحركة الدولة ومسارها التاريخي الطبيعي ، وفي ضوء ذلك جاءت هذه الدراسة لتبحث في مقدمات سقوط الدولة الأموية ومجريات أحداثها ولكن من منظور غيبي مستقبلي وهو ما اصطلح عليه بالتنبؤ أو النبوءات الغيبية .

أهمية الموضوع وأسباب الاختيار

يُعد موضوع سقوط الدول وقيامها من المسائل الجديرة بالاهتمام والدراسة ؛ بوصفها من الموضوعات الحيوية والمتجددة في كل زمان ومكان، فضلاً عن ذلك أن سقوط الدول لم يأتِ بشكل مفاجئ أو بشكل عابر دون مقدمات وتمهيدات، وفيما يخص موضوع الدراسة هذه فهو يبحث في المنهج الغيبي المستقبلي ومدى تأثيرهُ في تحريك الأحداث ورسمها والتخطيط لها، وتحديداً من قبل الدعاة العباسيين الذين وظفوا العامل الغيبي بشكل أساسي لإنجاح ثورتهم الممهدة لظهور دولتهم المرتقبة والتي تتوقف بلا شك على سقوط الدولة الأموية.

وقد تطرقت العديد من النظريات والدراسات عن سقوط الدولة الأموية ومن جوانب مختلفة منها سياسية وأخرى اجتماعية وقومية، فضلاً عن الاقتصادية والدينية ، وبعضها شكلت من مجموع تلك العوامل نظرية شاملة لتعليل سقوطها، مع تركيزنا الشديد على رؤى المفكرين والباحثين ومن مختلف مشاربهم الفكرية والعقدية والسياسية والثقافية في طرح نظرياتهم وآرائهم عن سقوط الدولة الأموية، وتأتي هذه الدراسة لتقرأ الموضوع من زاوية مختلفة في ضوء المنهج الغيبي (النبوءات) قراءة جديدة لم تتوسع فيها الدراسات والأبحاث ذات الصلة ، ولم تقدم فيها دراسة منهجية متخصصة ، وإنما تعرضت إليه بالإشارات البسيطة والمتناثرة والسردية ، ولم تعطه الأهمية التي يستحقها بوصفه من العوامل التي أسهمت وبشكل فاعل في إسقاط الدولة الأموية مع بقية العوامل والمسببات سواء أكانت الرئيسة أم الثانوية.

ومن اللافت للنظر أنَّ أغلب تلك النبوءات صادرة من جهات دينية الهية مرتبطة بالسماء مثل النبي محمد (صلى الله عليه واله) والأئمة المعصومين الأوصياء (عليهم السلام) ، مما يعطي قوة وتأثير كبير لتلك الغيبيات وتفاعل كبير من قبل المجتمعات الإسلامية .

ومن الجدير بالذكر أنَّ تسليط الضوء على العامل الغيبي وفق أسلوب منهجي تحليلي مع ضم بقية العوامل المؤثرة والمساهمة في سقوط الأمويين ، ينتج عنه أسلوبٌ علميٌ للوصول إلى صورة مقاربة من الواقع أو على أقل تقدير ستقدم نظرية علمية غيبية مفسرة لسقوط الدولة الأموية وفق النبوءات ، والتي من الممكن أنْ تنطبق على أي دولة سواء في الحاضر أم المستقبل ، مما يحقق جزءاً من الفائدة المرجوة من الدراسات الاكاديمية ذات الطابع المنهجي الأكاديمي وابعاد هكذا دراسات عن دائرة الخرافات والتكهنات غير العلمية .

فرضية الدراسة

تفترض الدراسة مقدماً قدرة العامل الغيبي (المستقبلي) وفاعليته في تحريك الحدث التاريخي ورسم المستقبل وفق معطياته ومقدماته وتنبؤاته وتوظيفها في رسم الخارطة السياسية ولاسيما أن موضوع المنهج الغيبي ذا الطابع (الديني– السياسي) يتصف بالتعقيد والخطورة إذ يمكن توظيفه بشكل سلبي لخدمة المشاريع السياسية الاستبدادية ، وتكمن خطورتها في قدرتها الهائلة على التأثير المجتمعي وتحريك الرأي العام بالاتجاه الذي تتبناه أو تروج له تلك الجهة أو هذه .

والذي تجدر الاشارة إليه أنْ يفهم من الدراسة أنَّ العامل الغيبي (النبوءات) هو عامل إجباري قد أسقط الدولة الأموية ونصر الثورة العباسية بشكل حتمي خارج عن إرادتهما ، وهذا المفهوم خاطئ ومغلوط ، إذ أن الغيب والتنبؤ المقصود في هذه الدراسة هو الإخبار السابق لزمانه عن سقوط الدولة الأموية والذي هو نتيجة طبيعية لأفعالها وسلوكياتها المستقبلية المستبدة مما نتج عنه سقوطها وانهيارها، في قبال حسن تنظيم الدعاة العباسيين وتوظيفهم للظروف والمعطيات مما أسهم في نجاحهم وتفوقهم.

منهج الدراسة

أعتُمد في دراسة هذا الموضوع منهجان أساسيان ، الأول : سردي تاريخي من خلال إيراد التنبؤات والغيبيات ذات الصلة بالدراسة من مصادرها الأساسية ، والثاني : المنهج التحليلي وفيه تم تحليل أغلب الروايات في المصادر وآراء الباحثين المحدثين ، فضلاً عن استعمال أسلوب طرح الاحتمالات ؛ كون الموضوع فيه مساحة واسعة من التفسير والتأويل لأكثر من جواب في بعض الأحيان .

هيكلية الدراسة

تماشياً مع طبيعة الموضوع وجزئياته وموضوعاته المتشعبة، فقد قسم على أربعة مباحث سبقت بمقدمة وانتهت بخاتمة لأهم النتائج المستخلصة، وقد تناول المبحث الأول الذي عنوانه مفهوم النبوءات الغيبية وفاعليتها في الاحداث التاريخية، تعريف تلك النبوءات وبيان مصطلحاتها ومدى تأثيرها وفاعليتها في سير الاحداث ورسم خارطتها، بينما اقتصر المبحث الثاني على عوامل سقوط الدولة الأموية من وجهة نظر المؤرخين ونظريات الباحثين المحدثين، في حين استعرض المبحث الثالث المنهج الغيبي (النبوءات) وأثرهُ في سقوط الدولة الأموية ، واخيراً جاء المبحث الرابع ليكمل ما سبقه في بيان مدى قدرة الدعاة العباسيين على توظيف المنهج الغيبي (النبوءات) واستثمارها في إسقاط الدولة الأموية وتحقيق النصر المرتقب وتأسيس دولتهم.

المبحث الأول

مفهوم النبوءات الغيبية وفاعليتها في الأحداث التاريخية

يشتمل مصطلح النبوءات على عدة مضامين ومفاهيم منها القراءات المستقبلية أو الأخبار الغيبية أو التخمين أو التكهن أو استشراف المستقبل مع اختلاف مصادر تلك النبوءات ، وقد تتضمن تلك النبوءات أموراً ثانوية غير مهمة أو شخصية فردية لشخصيات غير مؤثرة في حركة التاريخ أو نبوءات رئيسة مفصلية تؤدي دوراً جوهرياً في رسم وتشكيل حركة التاريخ، وقد سلطت الرؤية القرآنية الأضواء كثيراً على البعد المستقبلي ونبوءاته التاريخية ، وبمختلف درجة الأحداث الكبرى والثانوية الشخصية والأممية والدولية والحضارية وغيرها، مع اختلاف طبيعتها فهناك النبوءات السياسية والدينية وحتى الاجتماعية والاقتصادية وحتى العسكرية ، فضلاً عن ذلك فقد امتازت تلك النبوءات بالشمولية إذ كانت شاملة ومستوعبة للأفراد والحركات والجماعات والمجتمعات وعلى حد سواء، كما هي الأخرى شكلت إعجازاً إلهياً كبيراً ودليلاً على ربانية القرآن، بالإضافة إلى اتصافها بالقطعية والجزم والوقوع الحتمي الذي لا يعتريه الشك أو الاحتمال أو حتى النسبية، فضلاً عن مصداقية وقوعها وتحققها التاريخي الواقعي، هناك العديد من الآيات القرآنية التي فيها اشارات مستقبلية ونبوءات تاريخية مختلفة (منها: سورة الروم/ ٢-٥ ، الدخان/ ١٠-١٦ ، القمر/٤٥ ، الانفال/ ٧ ، الفتح/ ٢٧، النصر/ ١-٣ ، المسد / ١- ٥).

وفي السياق نفسه عرف شيشرون ، علم الغيب في العالم القديم، (مصر – د.ت)، ص ٣٨، الغيب بأنَّهُ "**معرفة ما يخفيه المستقبل**"، ويشير المستشرق الهولندي إلى أهمية هذه النبوءات بقوله: "**يجب أنْ لا يفوتنا في دراسة تاريخ الإسلام والشرق عامة مدى الدور الذي يحتله عامل التنبؤ وتأثر الروح الشرقية بكل ما له علاقة باستكشاف الغيب وأحداث المستقبل** ..."(فلوتن ، ١٩٩٦م ، ص٩٧) ، وترجع تلك النبوءات إلى تاريخ عميق أقدم من الإسلام بكثير ومن أشهر ذلك نبوءات دانيال فلوتن ، السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات المهدية ، ١٩٩٦م ، ص٩٨) التي لاقت شهرة واسعة ، ويشير كوبر إلى أنَّ معرفة النبوءات الغيبية ترجع إلى "**فجر التاريخ قام الإنسان بفحص الخبايا والسرائر ولجأ الى وسيط الوحي الإلهي–يطلق مصطلح الوسيط الوحي الإلهي عند الإغريق على الكاهن أو الكاهنة إذ يعتقد أنَّ الإله يجيب بواسطته عن سؤال حول أمر من أمور الغيب –** (ينظر، كوبر ، ٢٠١٨م ، ص٨.) **عند الإغريق ليقف على ما يخبيه له القدر في جعبته...**"(كوبر ، ٢٠١٨، ص٨).

وفي هذا المجال فقد تضمنت الكتب المقدسة العديد من النبوءات المستقبلية ؛ إيماناً منها بمصداقية حدوثها وفاعليتها في المجتمع، ومن تلك نبوءة السيد اليسوع – تسمية يطلقها المسيحيون ويقصدون به النبي عيسى بن مريم (ع)– عن خراب الهيكل، ونص **ذلك** "**وبينما هو خارج من الهيكل قال له أحد تلاميذه : " يا معلم انظر ! يا لها من حجارة ! ويا لها من أبنية ! فقال له " يسوع : أترى هذه الأبنية العظيمة ؟ لن يترك هنا حجر على حجر من غير أن ينقض**" (مجمع

الكنائس الشرقية ، ١٩٨٨م ، ص١٦٥) ، أمَّا إخباره عن نبوءة نهاية العالم ، فما نصه: "**وبينما هو جالس في جبل الزيتون قبالة الهيكل ، انفرد به بطرس ويعقوب ويوحنا وأندراوس وسألوه : قل لنا متى تكون هذه الأمور ، وما تكون العلامة أن هذه كلها توشك أنْ تنتهي** "(مجمع الكنائس الشرقية ، ١٩٨٨م ، ص١٦٥).

ثم أخذ اليسوع يحذر الناس من الأحداث والفتن والمجاعات المستقبلية التي تنبأ بها قائلاً : "**فأخذ يسوع يقول لهم : إيَّاكم أنْ يضلكم أحد فسوف يأتي كثير من الناس منتحلين اسمي فيقولون : أنا هو ! ويضلون أناسا كثيرين . فإذا سمعتم بالحروب وبإشاعات عن الحروب فلا تفزعوا ، فإنه لا بد من حدوثها ، ولكن لا تكون النهاية عندئذ . فستقوم أمة على أمة ، ومملكة على مملكة ، وتحدث زلازل في أماكن كثيرة ، وتحدث مجاعات ، وهذا بدء المخاض فخذوا حذركم** ..."(مجمع الكنائس الشرقية ، ١٩٨٨م ، ص١٦٦).

وفي الإطار نفسه يشير المؤرخ ابن خلدون (٨٠٨هـ) إلى أنَّ معرفة الأخبار المستقبلية هو من ضمن صفات ومميزات النفوس البشرية قائلاً : "**إنَّ من خواص النفوس البشرية التشوق إلى عواقب أمورهم وعلم ما يحدث لهم من حياة وموت وخير وشر سيما الحوادث العامة كمعرفة ما بقي من الدنيا ومعرفة مدد الدول أو تفاوتها والتطلع إلى هذا طبيعة مجبولون عليها ولذلك تجد الكثير من الناس يتشوقون إلى الوقوف على ذلك في المنام والاخبار من الكهان لمن قصدهم بمثل ذلك من الملوك والسوقة معروفة...**" (ابن خلدون ، ج١ ، ص ٣٣٠).

وفي ضوء ذلك فقد وردت العديد من النبوءات المهمة منها فيما يخص مسألة انتظار عودة السيد المسيح عيسى بن مريم أو فكرة ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) المخلص أو المنقذ والتي جميعها تشير إلى سقوط مرحلة تاريخية وابتداء مرحلة جديدة بكل مضامينها وأنَّ تلك التغييرات ستكون على يد شخصيات مؤثرة في رسم المجرى التاريخي وتحديد شكله ومعالمه ، وقد نوه إلى هذه الحقيقة ابن خلدون بقوله : "**إنَّ في المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الإعصار أنَّهُ لابدَّ في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الإسلامية ويسمى بالمهدي...**" (ابن خلدون ، ج١ ، ص ٣١١) ، ولم يقتصر دور النبوءات على مجرد معرفتها والتسلي بها، بل تكشف لنا خفايا المستقبل وتفيدنا في فهم الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي والتفاعل معه إذ "**إنَّ معرفة المستقبل تمدنا بقوة للتأثير عليه فإذا أمكنك رؤية المستقبل فقد تصير من الأغنياء وتنتصر في الحروب ويمكنك تحسين أوضاع المجتمع** ..." (كوبر ، ٢٠١٨م ، ص٨) .

ولابد من الإشارة إلى أنَّ سقوط الدول والأمم يخضع لضوابط النبوءات المستقبلية ومن بين من أسس لذلك جماعة (إخوان الصفا وخلان الوفا) الجمعية العلمية الفلسفية التي ظهرت في القرن الرابع الهجري والتي شكلت بنبوءاتها لاسيما في ما يخص سقوط الدولة العباسية التي عدتها من دول الشر ، ونص ذلك "**قد تناهت دولة أهل الشر وظهرت قوتهم وكثرت أفعالهم في العالم في هذا الزمان وليس بعد التناهي في الزيادة إلا الانحطاط والنقصان** ..."(اخوان الصفا ، ١٩٧٥م ، ج١ ، ص١٨١) منعطفاً جديداً في تفسير حركة التاريخ وسقوط الحضارات التي بنتها على أسس فلكية خاضعة لحسابات رياضية دقيقة ، فهي تستدل على "**تنقل المملكة من أُمة إلى أُمة أو من بلد إلى بلد أو من أهل بيت إلى أهل بيت آخر وهي التي تكون ويستدل على حدوثها من القِرانات التي تكون في كل مائتين وأربعين سنة مرةً واحدة . ومنها تبدُّل الأشخاص على سرير الملك وما يحدث بأسباب ذلك من الحروب والفتن التي يُستدل عليها من القرانات التي تكون في كل عشرين سنةً مرةً واحدةً** "(اخوان الصفا ، ١٩٧٥م ، ج٣ ، ص ٢٦٦).

وفي هذا الإطار فقد أطلق على الكتب التي تتناول هذه الموضوعات تسمية كتب الملاحم أو كتب الجفر "**يقصد بالجفر ما أملاه رسول الله صلى الله عليه واله وكتبه أمير المؤمنين (عليه السلام) بخطه وفيه علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة**" (العاملي ، ٢٠٠٥م ، ج١٢ ، ص٨٠) وبصور عامة تتضمن تلك الكتب تكهنات عن أحداث المستقبل

والتي يعود تاريخها إلى القرن الأول الهجري (فلوتن، ١٩٩٦م ، ص١٠١) وكان اليهود والنصارى من أول الشعوب اهتماماً بهذا النوع من الاخبار، ولكن هذا لا يعني أنَّ العرب ولاسيما قبل الإسلام لم يكن لهم اهتمام بهذه المسائل حتى أنَّهم نسجوا الأساطير عنها، ورفعوا من شأن مدركيه ، واستعانوا بوسائل مختلفة اعتقدوا أنها تعينهم في مهمتهم لإدراك الغيب منها الكهانة والحظ والتنجيم والفراسة والقيافة والطرق وعلم الخط والتطير والفأل والتنبؤ بتكليم الأصنام والأحلام أو الرؤيا وغيرها (للمزيد عن التفاصيل عن فلسفة الغيب ووسائله وطرقه عند العرب قبيل الإسلام ، (ينظر، ابن خلدون ، ج٣ ، ص ٣٣٠- ٣٣٩ ؛ سمار، ص ٢٤٤-٢٨٦).

اطلق المستشرق الانكليزي تسمية أو مصطلح (**استشراف المستقبل**) على العديد من الحوادث التاريخية التي فيها صبغة تنبؤية وإطار إعجازي، وسرد العديد من الشخصيات الإسلامية التي تنبأت بوقع الحوادث قبل أوانها بفترات زمنية متفاوتة ، ولاسيما تنبؤات الرسول محمد (صلى الله عليه واله) والخليفة الثاني عمر بن الخطاب وبعض الشخصيات السياسية والعسكرية الأخرى التي تناولها (ينظر، بواز ، ٢٠١٦م ، ص ص ١٦٢-١٧٤).

ومن أشهر العرافين في التاريخ الأوربي الحديث وتحديداً في القرن السادس عشر الميلادي هو المنجم الفرنسي نستر اداموس ، الذي لاقت نبوءاته تفاعلاً كثيراً في اغلب المجتمعات ، وتحديداً الأوربية ؛ نتيجة لتحقق الكثير منها ، وقد كتب نبوءاته تلك على شكل أشعار يكتنفها الغموض والرمزية والإشارة التي لها دلالاتها الخاصة (ينظر ، الشنتناوي، ١٩٥٩م ، ص٧) ، فيما أشار أحد الباحثين بعدم مصداقية أغلب تنبؤاته تلك قائلاً :"**تحليل تنبؤاته في اغلب الاحيان والخاطئة بشكل لا لبس فيه تشير عدم امتلاكه لأي قدرات فريدة في رؤية المستقبل** ..."(ابو زكريا ، ٢٠٢١م ، ص٤٧) والذي يستشف من ذلك كله مدى تأثر الرأي العام بتلك النبوءات وتفاعلهم معها .

وفي السياق نفسه وجدت تلك الموضوعات ذات الطابع الغيبي والملحمي اهتمام بعض المؤرخين المسلمين فيها ، ويأتي في طليعتهم ابن حماد المروزي المتوفي عام (٢٢٩هـ) الذي ألفَّ كتاباً تحت عنوان (**الفتن**) ومن بعده ابن طاووس المتوفي عام (٦٦٤هـ) الذي هو الاخر صَنَّف في نفس المجال تحت عنوان (**الملاحم والفتن**) ، وجرياً على هذا النوع من التصنيف فقد الف المؤرخ ابن كثير المتوفي عام(**٧٧٤هـ**) كتاباً تحت عنوان (**النهاية في الفتن والملاحم**) ، فضلاً عن ذلك هناك العديد من المؤلفات والتي تبحث في هذه الموضوعات ولمؤلفين من القرن الأول والثاني الهجري ولكن لم تصل إلينا (ينظر ، الطوسي ، ١٩٩٧م ، ص ٤٦ ، ١١٢ ، ٢٤٦).

وعلاوة على ذلك فقد اصطلح أحد الباحثين على القراءة المستقبلية للأحداث ذات المصدر الإلهي بالقراءة السماوية الواقعية النزيهة وتتمثل في إخبارات الأنبياء أو الأولياء الصالحين ، خلافاً للقراءة الأخرى المزيفة والملتوية التي تعتمد على الشعوذة والتنجيم والسحر وغيرها والتي تحصل على معلوماتها من خلال التجسس على بعض الكائنات لمعرفة صور المستقبل والتي تكون مشوهة ومشوشة بالوقت نفسه (ينظر، الموسوي ، ١٤٢٩هجري ، ص ١٧-١٨).

المبحث الثاني

عوامل سقوط الدولة الأموية بين رؤى المؤرخين ونظريات الباحثين المحدثين

تناولت العديد من الدراسات والأبحاث عوامل سقوط الدولة الأموية ، وطرحت في هذا الخصوص جملة من النظريات والفرضيات والعوامل، فعالجت من خلالها بعضاً من الجزئيات والثغرات محاولة أنْ تقدم رؤية علمية ومنهجية في تفسير سقوط الأمويين، وقد ركزت بعض تلك الدراسات على عامل واحد، وأخرى شخصت مجموعة من العوامل التي كانت تقف خلف سقوط الأمويين في المشرق وسواء بشكل مباشر أم غير مباشر.

وفي ضوء ذلك قدم بعض المؤرخين تعليلات وترجيحات لذلك السقوط كلاً معبراً عن وجهة نظره وفلسفته في قراءتهُ للحدث ، فمثلاً قدم اليعقوبي رؤية بسيطة عن خلفيات سقوط الدولة الأموية من كونها دولة لا تستحق الوجود ، فيما أرجع الطبري ذلك إلى الفتن الداخلية والأخطاء التي ارتكبها بنو أمية في مدة حكمهم ، بينما علل ابن أعثم الكوفي أسباب السقوط إلى عامل سياسي يتعلق بالدماء والحروب التي أحدثها الأمويون في دولتهم (ينظر، الفوزان ، ١٩٩٥م ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩).

وعلى منوال تلك الدراسات قدَّمَ المؤرخ ابن طباطبا صورة فلسفية واضحة عن ماهية سقوط الدولة الأموية ، أستهلها بتركيزه على شخصية البطل الذي أستطاع هزيمة الأمويين ونصر العباسيين وهو أبو مسلم الخراساني إذ وصفه "**رجل الدولة وصاحب الدعوة والفاتح** "(ابن طباطبا ، ص١٣٩) قبل دخوله في التفصيلات السياسية والمقدمات التمهيدية لبيان حال سقوط الدولة الأموية ، ولعل هذا ينطبق تماماً على فاعلية نظرية البطل في التاريخ أو الرجل العظيم ، كما أشار إلى هذا المغزى ويد جري بقوله : "**جوهر تاريخ العالم بأكمله يمكن اعتباره بحق أنه تاريخ هؤلاء الرجال ، وما تاريخ العالم إلا ترجمة حياة العظماء ...**" (ويد جري ، البان .ج. ، ١٩٩٦م، ج٢ ، ص ٨٤) فمن هذه الرؤية اعتقد ابن طباطبا أنَّ من يقوم بتأدية هذا الدور هو أبو مسلم الخراساني بوصفه الرجل المناسب لتحقيق النصر العباسي .

وحاول ابن طباطبا أنْ يجعل من سقوط الأمويين ونجاح العباسيين أمراً غيبياً مقدراً ومخططاً من الله وهو أشبه ما يكون بالنظرية الحتمية الإلهية والتي تشير إلى "**أنَّ تاريخ البشرية بأكمله توجهه يد القدرة الالهية**" (عبد الحميد، ٢٠٠٧م ، ص٨٣) ، ولكن يجعلها ضمن النواميس الطبيعية ، قائلاً : "**فانظر إلى قدرة الله تعالى وأنه إذا أراد أمراً هيأ أسبابه وإذا أراد أمراً فلا مرد لأمره لما قدر انتقال الملك إلى بني العباس هيأ جميع أسبابه** " (ابن طباطبا ، ص**١٤٥**)، وقوله أيضاً في تراجع مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين وفشله العسكري "**ولما قدر الله تعالى خذلان مروان وانقراض ملك بني أمية ...**" (ابن طباطبا، ص١٤٥). ويرجع فلسفة ذلك إلى أن "**دولة بني أمية مكروهة عند الناس ملعونة مذمومة ثقيلة الوطأة مستهترة بالمعاصي والقبائح فكان الناس أهل الامصار ينتظرون هذه الدولة صباح ومساء**" (ابن طباطبا ، ص **١٩٢**).

ومن الجدير بالإشارة إلى أنَّ جماعة إخوان الصفا ، قدموا نظرية فلسفية منهجية في سقوط الدول ، ولعل ما ذهب إليه ابن طباطبا أنفاً من أنَّ عامل استشراء الأفعال القبيحة والمعاصي لدى الأمويين وأن الله هيأ عوامل سقوطهم هو مصداق لرؤية إخوان الصفا في تفسير سقوط الدول ، ونص ذلك "**إنه قد تناهت دولة أهل الشر وظهرت قوتهم وكثرت أفعالهم في العالم في هذا الزمان وليس بعد التناهي في الزيادة إلاَّ الانحطاط والنقصان ...**" (اخوان الصفا ، ١٩٧٥م ،ج١، ص١٨١).

وفي ضوء تلك الآراء لابدَّ من تقديم أدلة على أنَّ الدولة الأموية استندت منذ تأسيسها على نظريات استبدادية وجاهلية ولم تقم وزناً للرؤية الدينية ، بدلالة التصريحات التي اطلقوها في هذا الشأن منها ما أدلى به أبو سفيان وهو يخاطب الأسرة الأموية ويرسم لها مستقبلها السياسي آنذاك بقوله : "**تلقّفوها الآن تلقّف الكرة فما من جنّة ولا نار**" (البلاذري ، ١٩٧٩م ، ج٥ ، ص١٣) ، على أثر استشهاد النبي (صلى الله عليه واله) أو قوله لعثمان بن عفان : "**بأبي أنت ! أنفق ولا تكن كأبي حجر ، وتداولوها يا بنى أمية تداول الولدان الكرة ، فو الله ما من جنة ولا نار**" (شرح ابن أبي الحديد ، ١٩٥٩م ، ج٢، ص٤٥) ، ويشير الطبري إلى أنَّ أبا سفيان كان يهدف إلى إعادة التجربة الجاهلية السابقة باطار جديد وتحت المظلة الأموية لقوله "**اللهم اجعل الأمر أمر جاهلية والملك ملك غاصبية واجعل أوتاد الأرض لبني أمية**" (الطبري، ١٩٨٣، ج٣ ، ص ٤٥٨) ، أو ما نقل عنه المسعودي بقوله :"**يا بني أمية ، تَلَقَّفُوها تلقُّفَ الكرة ، فو الذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرَنَّ إلى صبيانكم وراثة ...**"(المسعودي ، ١٩٨٤م ، ج٢ ، ص ٣٤٣).

ولم يهمل ابن طباطبا العوامل الطبيعية المؤثرة في سقوط الأمويين ولاسيما ذات الطابع السياسي وتحديداً تلك التي حدثت في عهد الخليفة مروان بن محمد إذ "**كانت أيامه أيام فتن هرج ومرج**" (ابن طباطبا ، ص١٤٤) وكذلك "**نمى الشر وثارت الفتن واضطرب حبل بني أمية واختلفت كلمتهم وقتل بعضهم بعضاً** " (ابن طباطبا ، ص١٤٤).

وعلاوة على ذلك فقد ذهب الباحثون المحدثون إلى البحث في عوامل السقوط ومن وجهات نظر متباينة ومختلفة ، فيشير الدكتور عبد الشافي عبد اللطيف إلى أنَّ العوامل التي أضعفت الدولة الأموية ومن ثم اسقطتها تتعلق "**بالقلاقل والفتن والثورات التي عمت معظم الولايات في أواخر الدولة الأموية ، وساد السخط في كل مكان وظهر ضعف الخلافة وعجزها عن السيطرة** ..."(عبد الشافي ، ٢٠٠٨م ، ص ٤٥٢) ثم يجعل من براعة وخبرة وحسن تنظيم العباسيين عاملاً مكملاً من عوامل السقوط الأموي(عبد الشافي ، ٢٠٠٨م ، ص ٤٥٣) . فيما قَدَّمَ الدكتور عبد المنعم سلطان دراسة شاملة عن العامل القومي وأثره في ذلك من خلال صراع القوميتين العربية والفارسية ودورهما في إسقاط الدولة الأموية (سلطان ، ٢٠١٠م، ص ٢١-٢٤) ، بينما رشح محمد بك الخضري تدهور الدولة الأموية إلى عاملين جوهريين هما ولاية العهد وإحياء العصبية الجاهلية (الخضري ، ص ٣٦٠-٣٦٣).

ومن المناسب هنا التنويه إلى خطورة العامل القومي وقدرة تأثيرهِ الهائلة والتي يحدثنا عنها الاقتصادي النمساوي فردريك هرتز ، قائلاً : "**إذ أثبت الشعور القومي أنَّهُ أقوى من أي مذهب سياسي آخر ، فقد تحطمت تحت وطأة هجماته إمبراطوريات كبرى وقامت باسم القومية حروب وثورات غير معالم العالم** ..." (هرتز ، ٢٠١١م ، ص٦) ، ومما لا شك فيه أنْ يلعب العامل القومي دوراً في سقوط الأمويين ولاسيما هم عملوا على تنمية وتغذية العصبية القومية والقبلية بشكل كبير ومفرط ؛ نتيجة العصبية التي يعتقدون بها ويشير أحد الباحثين من خلال قراءته لما أورده أبو الفرج الاصفهاني عن تاريخ الدولة الأموية وتحديداً عوامل سقوطها ، أنَّ استحداث نظام ولاية العهد في عهد معاوية بن أبي سفيان كان سبباً جوهرياً في إحداث الصراعات الداخلية بين الأمويين أنفسهم وقد خصص أبو الفرج الأصفهاني مساحة واسعة لهذه الصراعات ولاسيما في عهد الوليد بن يزيد وما تلاه من خلافات وتنافس سياسي خطير ، (الكرعاوي ، ٢٠١١م ، ص ص ٢١٣-٢١٤).

في حين اعطي المفكر اللبناني جرجي زيدان العامل الاجتماعي دوراً فعالاً وواسعاً في سقوط الأمويين قائلاً : لما "**انغمس بنو أمية في الترف ... مع ما كان من تعصبهم على العرب واحتقارهم الموالي واساءتهم أهل الذمة وسائر أهل القرى فأصبح الناس يتحدثون بقرب زوال دولتهم** ..." (زيدان ، ٢٠٠١م ، ج٤ ، ص١٢٠).

ومن الدراسات المهمة التي أسهبت في تناول تفاصيل سقوط الدولة الأموية هي تلك التي قدمها المحقق والاديب اللبناني عمر فروخ إذ علل السقوط إلى جملة من المسببات المباشرة وغير المباشرة منها وصول خلفاء ضعفاء لسدة الحكم وتنازع العصبيات وكثرة حركات الخوارج التي أنهكت الدولة آنذاك مع اتساع رقعة الدولة وتمددها الجغرافي ، وتنازع البيت الأموي على ولاية العهد فضلاً عن كثرة ظهور التيارات الفكرية المتعددة منها الخوارج والشيعة والمعتزلة والمرجئة والتي كانت تحمل معتقدات دينية وسياسية متقاطعة مع عقيدة الأمويين وفلسفتهم السياسية (ينظر ، فروخ ، ص ١٩٦-٢٠٦).

وعلى هذا المنوال لم يقدم الدكتور حسن إبراهيم حسن نظرية جديدة عن ما تم طرحه مسبقاً من قبل الباحثين في سقوط الأمويين ، إذ رجح ثلاثة عوامل جوهرية كان لها الأثر البالغ في انهيار الحكم الأموي وهي : تولية العهد لاثنين يلي أحدهما الآخر وانغماس بعض الخلفاء بالترف بالإضافة إلى ظهور الروح العصبية (ينظر، حسن، ١٩٩٦م ، ج١، ص ٢٧٣-٢٧٨).

وتماشياً مع ما تم ذكره أنفاً من عوامل رئيسة أو ثانوية أوردها الباحثون المحدثون بشأن سقوط الدولة الأموية وهي مقاربة لما أسس إليه العلامة ابن خلدون من نظرية فلسفية علمية تعنى بسقوط الدول والحضارات ، وقد حدد من بين تلك العوامل هي : "**الزنا مخلط للأنساب مفسد للنوع وأنَّ القتل أيضا مفسد للنوع وأنَّ الظلم مؤذن بخراب العمران المفضي لفساد النوع وغير ذلك من سائر المقاصد**" (ابن خلدون ، ج١ ، ص٣٩).

فيما أعطى ابن خلدون الفاعلية المؤثرة لعاملي الترف والنعيم في سقوط الدول قائلاً : "**ويبلغ فيهم الترف غايته ... من النعيم وغضارة العيش ...**"(ابن خلدون ،ج١ ، ص١٧١) ، ولم يقتصر الدور على هذين العاملين فحسب بل على انعكاساتهما ونتائجهما السلبية على الدولة ، ونص ذلك "**وهما الترف والقهر ثم يصير القهر آخرا إلى القتل لما يحصل من مرض قلوبهم عند رسوخ الملك لصاحب الأمر فيقلب غيرته منهم إلى الخوف على ملكه فيأخذهم بالقتل والإهانة وسلب النعمة والترف الذي تعودوا الكثير منه فيهلكون ويقلون وتفسد عصبية صاحب الدولة ...**"(ابن خلدون ، ج١ ، ص ٢٩٥) ولعلَّ هذه القاعدة تنطبق بشكل واضح على ما عانته الدولة الأموية من صراعات سياسية داخلية من أجل السلطة التي كانت سبباً غير مباشر في إضعافها ثم سقوطها .

ولعلَّ من الدراسات الجديرة بالاهتمام تلك التي قام بها الدكتور أحمد العدوي وقدَّم فيها رؤية جديدة عن سقوط الدولة الأموية ، مرجحاً فيها نظرية التغيير الديموغرافي التاريخية من خلال الطواعين الجارفة والأمراض المميتة ، كعامل جوهري في سقوط الأمويين ، قائلاً : "**أسفرت فورات الطاعون المتتالية عن تراجع اعداد العرب وهم عماد جيوش بني أمية في العراق والشام تراجعاً حاداً ونجم عن هذا في نهاية المطاف عجز الدولة الأموية عن مقاومة الثورة العباسية**"(العدوي ٢٠١٨م ، ص١٠٣) ، ويروم العدوي هنا أنْ يشير إلى أنَّ الثورة العباسية اعتمدت على العنصر الفارسي بينما الأموية ركزت على العنصر العربي ، مما يعني دخولنا في دوامة الصراع القومي بمعنى آخر سقوط الأمويين في هذه الجزئية يعود إلى الصراع القومي أو العصبية القومية.

ويستمر العدوي في إيراد التحليلات التي تؤيد نظريته تلك قائلاً : "**إذ اختار الثوار العباسيون الوقت الملائم لإعلان ثورتهم في طاعونين كبيرين أصابا الشام والعراق بين عامي ١٢٧ وعام ١٣١هـ هما طاعون غراب ومسلم بن قتيبة...**"(العدوي ٢٠١٨م ، ص١٠٣)، ويذهب العدوي إلى أبعد من ذلك إذ يقول إنَّ "**طاعون عام ١٣١هـ حرم مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين أرسال المدد إلى واليه على خراسان ليوقف زحف العباسيين**"(العدوي ، ٢٠١٨م، ص١٠٤).

ولعلَّ الذي يريد أنْ يؤسس له العدوي هو أنَّ الطواعين تلك كانت سبباً في نقص الجند والمقاتلة ولاسيما العرب الذين تعتمد عليهم الدولة بشكل أساسي وفق فلسفتها القومية ، مما أثر على المجريات العسكرية وسبب إرباكاً في وضع الخطط الأمنية ، الأمر الذي سهل على العباسيين ثورتهم ، وهذه نظرية يمكن قبولها ضمن بقية النظريات والعوامل المساهمة في سقوط الأمويين ولاسيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن الطواعين تلك حصدت الالاف من الأرواح ولاسيما في صفوف المقاتلة العرب .

وعلى المنهجية نفسها قدم أحد الباحثين من خلال دراسة أكاديمية رؤية فلسفية عن سقوط الأمويين وتتمحور رؤيته تلك باتجاهيين جوهريين ، هما : ما يصطلح عليه بالسنن النفسية وأثرها الفاعل في سقوط الدولة الأموية ، ومن صور ذلك التفسير الأخلاقي للتاريخ والمتمثل بفساد الحكام وعدم التحكم بغرائزهم مما ينتج عنه تغير المزاج النفسي للدولة تغييراً ينشأ عنه انحطاطها الخلقي العام (زيدان، ٢٠٢١م، ص ٢٦)، في حين رَكَّزَ الاتجاه الثاني على تغير طرفي الصراع بين العلويين والأمويين إلى الصراع بين الأمويين والعباسيين وأثر ذلك في تحقيق النجاح العباسي على حساب التقهقر الأموي إذ "**شكل الصراع العلوي – الأموي ذات الجذور القديمة الحدث الأبرز في التاريخ الإسلامي ... في مسيرة الصراع نحو**

إسقاط الدولة الأموية هو تغيير طرف الصراع مع الأمويين الذين تصدره العلويين منذ البداية ولحين سقوط الدولة الأموية ثم جنى ثماره العباسيون ..." (زيدان ، ٢٠٢١م ، ص ص ٣٣-٣٤).

وفيما يخص العوامل التي حالت دون تحقيق النصر العلوي على الرغم من طول مدة صراعه مع الأمويين في قبال تحقيق النصر العباسي على الأمويين مع قصرة مدة صراعهم فيرجح زيدان ذلك إلى عاملين مهمين ، الأول : "**عدم استطاعة العلويين الانسلاخ من المبادئ المثالية والثوابت التي نادى بها الإسلام في صراعهم مع الدولة الأموية على عكس العباسيين...**"(زيدان ، ٢٠٢١م ، ص٣٧) ، أمَّا العامل الثاني : فهو "**افتقاد العلويين لبطل سياسي مكيافيللي أو ما يمكن أنْ يطلق عليه بالبطل الشرير في منظور فلسفة التاريخ يؤمن بنظرية الغاية تبرر الوسيلة في تحقيق أهدافه السياسية طول مدة صراعهم مدة الدولة الأموية مثل أبي مسلم الخراساني ...كانت صورة البطل الشرير المتحققة في أبي مسلم واضحة جداً في تغيير مجرى الأحداث التاريخية لصالح العباسيين**"(زيدان ، ٢٠٢١م ، ص ص ٣٩-٤٠).

والذي يستنتج من جميع تلك الآراء والنظريات المفسرة لسقوط الأمويين أن هناك جملة من العوامل التي لعبت دوراً فعالاً في سقوطهم منها العامل السياسي والمتضمن ولاية العهد وكثرة الحركات والثورات المناهضة لهم ، بينما البعض رجح العامل النفسي والاخلاقي وأثره في انحطاط الدولة وتدهورها وهذا مصداق ما أشار إليه الفيلسوف ول ديورانت من أن الانحلال الاخلاقي يضعف الدول أو الحضارات بشكل بطيء (ديورانت ٢٠٢٠م، ص ص ٨٧-٨٨) ، فيما شكل العامل الاجتماعي عاملاً جوهرياً تجسد في اتجاهين رئيسين هما الترف والانغماس في الملذات وهدر الأموال أما الاتجاه الثاني فيتمثل في احتقارهم الموالي بوصفهم مواطنين من الدرجة الثانية حسب وجهة نظر الأمويين ، فيما رجح بعض الباحثين قدرة العباسيين ونجاح خططهم ودقتها وسريتها كان عاملاً مساهماً بفعالية عالية في سقوط الأمويين وإزالتهم ، في مقابل ذلك طرح العدوي نظرية التغيير الديموغرافي من خلال حدوث الطواعين الجارفة والمميتة ، وأثرها في إرباك المشهد العسكري الأموي وإضعافه على حساب الدعاة العباسيين الذين نجحوا إلى حد كبير في توظيف تلك الجزئية لصالحهم .

وفي ضوء ذلك كله يلاحظ غياب تام للعامل الغيبي أو ما يصطلح عليه بالنبوءات والتأملات ، التي كان لها الأثر الكبير في تأجيج الرأي العام ضد الأمويين ومن ثم الاستعداد للاشتراك بأي ثورة تهدف إلى إسقاطهم ، ومن جانب آخر كيف أنَّ عامل التنبؤ أسهم بشكل واضح في أنجاح الدعاة العباسيين لثورتهم ومن ثم نجاحهم في تحقيق النصر العباسي على الأموي وتأسيس دولتهم.

وخلاصة لما تقدم نستنتج فاعلية العوامل التي أوردها المؤرخين والباحثون المحدثون على حد سواء ، التي تناولت سقوط الدولة الأموية وبنسب متباينة ومختلفة ، مع ترجيحنا نظرية النبوءات وأثرها الكبير في أسقاط الأمويين ونجاح العباسيين ، كما سنبين ذلك من خلال المباحث الاتية .

المبحث الثالث

المنهج الغيبي (النبوءات) وأثرهُ في سقوط الدولة الأموية

إنَّ دراسة موضوع قيام الدول وسقوطها يُعدُّ من الموضوعات ذات الأهمية الكبيرة ؛ لما يتضمنه من نظريات فلسفية وتاريخية مهمة في تشكيل الحكومات وتأسيسها أو إسقاطها وانهيارها إذ إنَّ انتهاء دورة الدول أو الحضارات مصيرها الزوال وهذا ما أشار إليه الفيلسوف الأمريكي ول ديورانت بأن "**الموت مصير جميع الحضارات**"(ديورانت ، ٢٠٢٠م ، ص ٨٨) ، فضلاً عن التعرف على الممارسات أو السياسات المتبعة في الوصول إلى السلطة ومدى شرعيتها وأحقيتها ولاسيما نحن نتناول الدولة الأموية والعباسية وكلاهما وظف جملة من النظريات والفلسفات في سبيل تهيئة الرأي العام ومحاكاته من خلال مناغمة الجانب الديني وبمعنى أخر تجنيد الرأي العام والقواعد الجماهيرية لصالح أغراضهما السياسية ومشاريعهما المستقبلية ، ويكمن هذا التوظيف للنبوءات المستقبلية بوصفها من العوامل الرئيسة والمهمة في رسم

السقوط الأموي وتحقيق النصر العباسي ، وقد يتبادر إلى الذهن سؤالٌ مفاده لماذا يتم تناول قيام الدولة العباسية في هذا الموضوع وهو مخصص لسقوط الدولة الأموية ، والإجابة عن هذا السؤال تكمن في نقطتين أساسيتين هما :-

الأولى : وجود ارتباط وتداخل تاريخي بين سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية من حيث المقدمات والدلالات ووجود عامل مشترك بينهما وهو عامل النبوءات .

الثانية : بالإضافة إلى ذلك أنّ نجاح الثورة العباسية نتج عنه سقوط الأمويين والعكس صحيح .

وستكون دراستنا هذه في اتجاهين أو محورين أساسيين الأول : هو النبوءات أو البشارات التي تؤسس لسقوط الدولة الأموية وزوالها والثانية: النبوءات التي وظفها العباسيون لأسقاط الأمويين وتحقيق دولتهم المرتقبة، وفيما يخص الاتجاه الأول فقد انتشرت النبوءات التي تؤسس لسقوط الأمويين خلال الحكم الأموي وبفترات زمنية مختلفة، ولكن اغلبها كانت في اواخر الحكم الأموي، ومما لا شك فيه أنَّ تلك الغيبيات لعبت دوراً مؤثراً كبيراً في تأجيج الرأي العام ضدهم بل أسهمت في النقمة ضدهم فضلاً عن تشجيعها للثائرين للانضمام تحت عناوين الثورة للتخلص من الحكم الأموي ، ومن أبرز تلك النبوءات هي :

١- ما أشارت إليه إحدى الروايات من معلومات دقيقة وتفصيلية وهي أشبه ما تكون بالخارطة الغيبية لسقوطهم ، ونص ذلك "**ملك بنو أمية مائة عام لبني مروان من ذلك نيف وستون عاماً لا يذهب ملكهم حتى ينزعوه بأيديهم يريدون شده فلا يستطيعونه كلما شدوه من ناحية انهدم من ناحية يفتتحون بميم ويختمون بميم ولا يذهب ملكهم حتى يخلع خليفة منهم فيقتل ويقتل حملاه ويقتل حمار الجزيرة الأصهب مروان ثم ينقطع ملكهم وعلى يديه هدم الأكاليل**"(المروزي، ١٩٩٣م ، ص١١١).

٢- هناك رواية فيها إشارات غيبية وسياسية تنبأت بسقوط الأمويين ، نصها : "**إذا استخلف رجل من آل مروان يقال له الوليد فعند ذلك تنقطع خلافة بني أمية فلما استخلف الوليد بن عبد الملك ثم مات قيل له أين ما قلت ؟ قال ليستخلفن منهم رجل يقال له الوليد بن يزيد... ذهاب سلطان بني أمية إذا استخلف غلام منهم ثم قتل وقتلت معه أمه فعند ذلك ينقطع سلطانهم**"(المروزي ، ١٩٩٣م ، ص١١٢).

٣- فيما شكلت تنبؤات أمير المؤمنين (عليه السلام) منعطفاً مهماً في مسار الرؤية الغيبية ؛ كونها صادرة من شخصية لها ثقلها الديني بوصفه خليفة رسول الله (صلى الله عليه واله) وإمام المسلمين هذه من جهة ومن جهة أخرى كون أمير المؤمنين (عليه السلام) خاض صراعاً سياسياً وعسكرياً وعقائدياً مريراً مع معاوية بن أبي سفيان الخليفة الأموي الأول ، وكان معاصراً لأغلب القيادات الأموية المتنفذة حينئذ ، مما ينتج عن ذلك أنَّ الإمام علي (عليه السلام) على دراية تفصيلية بحقيقة تأسيس أو تشكيل الدولة الأموية وإرهاصاتها ، بالإضافة إلى ذلك فإنَّ تنبؤاته المستقبلية من الناحية الزمنية كانت قبيل تأسيس الدولة الأموية بشكل رسمي ، ومن أبرزها تنبؤهُ بالمدة القصيرة التي سيحكم بها الأمويون الدولة الإسلامية والتي كان يعتقد الاخرون خلاف ذلك بأنهم سيحكمون طويلاً لقوله : "**حتى يظن الظان أن الدنيا معقولة على بنى أمية ، تمنحهم درها . وتوردهم صفوها ، ولا يرفع عن هذه الأمة سوطها ولا سيفها ، وكذب الظان لذلك ، بل هي مجة من لذيذ العيش يتطعمونها برهة ، ثم يلفظونها جملة**" (شرح ابن أبي الحديد ، ١٩٥٩م ، ج٦ ، ص٣٨١)، فيما أشار (عليه السلام) إلى أنَّ الصراعات السياسية الداخلية فيما بينهم ستكون عاملاً مهماً في التعجيل بسقوطهم قائلاً : "**الأمر لهم حتى يقتلوا قتيلهم ويتنافسوا بينهم فإذا كان ذلك بعث الله عليهم أقواما من المشرق فيقتلوهم بددا وأحصوهم عددا والله لا يملكون سنة إلا ملكنا سنتين ولا يملكون سنتين إلا ملكنا أربعا**" (المروزي ، ١٩٩٣م ، ص١١٠)، فيما أكد (عليه السلام) على حتمية سقوطهم قائلاً :"**أقسم بالله الذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، لتنتحرن عليها يا بني أمية ، ولتعرفنها في أيدي غيركم ودار عدوكم عما قليل ، وليعلمن نبأه بعد حين**" (المفيد ، ١٩٩٣م ، ج١ ، ص٢٧٧).

٤- وورد في بعض الاخبار التي تنبأت بقرب الزوال الأموي ، ما نصه "**لا يزال هذا الأمر في بني أمية حتى يملكهم أربعة كلهم من صلب رجل سليمان بن عبد الملك وهشام ويزيد والوليد ...**"(المروزي ، ١٩٩٣م ، ص١١٢).

٥- وورد عن رسول الله (صلى الله عليه واله) قوله : "**إذا بلغ بنو الحكم تسعة وتسعين وأربعمائة كان هلاكهم أسرع من لوك التمرة**"(الطبراني ، ١٩٨٣م، ج١٣، ص ١٨٣ ؛ ابن عساكر ، ١٩٩٤م ، ج٣٧ ، ص١٢٦).

٦- ما أورده عبد السلام بن مسلمة قال سمعت أبا قبيل يقول "**وذكر بني أمية فنال منهم ثم قال سيليكم بعدهم أصحاب الرايات السود فيطول أمرهم ومدتهم حتى يبايع لغلامين منهم فإذا أدركا اختلفوا فيما بينهم فيطول اختلافهم حتى ترفع بالشام ثلاث رايات فإذا رفعت كان سبب انقطاع مدتهم**"(المروزي ، ١٩٩٣م ، ص١١٩).

٧- ما ذكره أبو هريرة من حتمية سقوط الأمويين وقيام دولة بني هاشم ، قائلاً : "**فو الذي نفسي بيده لو كانت الدنيا يوماً واحداً لطول الله ذلك اليوم حتى تكون الخلافة لبني هاشم**" (المروزي ، ١٩٩٣م ، ص١٢١) .

٨- وهناك تأكيدات خطيرة تكشف لنا مدى تداول النبوءات في مجالس الخلفاء الأمويين ، ونص ذلك "**نظر عبد الملك إلى محمد بن علي ، وهو غلام من أجمل أهل زمانه فقال : هذا والله يفتن المرأة الشريفة . فقال له خالد بن يزيد بن معاوية : أما والله إن ولده صاحب هذا الأمر ، فقال عبد الملك : كلا . فقال خالد : هو كذاك ، إن تبيعا أخبرني عن كعب أنَّ هذا الأمر يصير إلى بني العباس ، وأنه لا يلي رجل من آل أبي طالب إلا أن يخرج على وال فيقتل ، وأنها لا تزال لولد العباس إلى أن ينزل المسيح ...**" (مؤلف مجهول ، ١٩٧١م ، ص١٦٨).

وقد ورد في هذا الشأن أيضاً نبوءات عن قرب نهاية الحكم الأموي من قبل الإمام محمد الباقر(عليه السلام) قائلاً : "**أشخصني هشام بن عبد الملك فدخلت عليه وبنو أمية حوله فقال لي : ادن يا ترابي ، فقلت : من التراب خلقنا وإليه نصير ، فلم يزل يدنيني حتى أجلسني معه ثم قال : أنت أبو جعفر الذي تقتل بني أمية فقلت : لا ، قال : فمن ذاك ؟ فقلت: ابن عمنا أبو العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، فنظر إلي وقال : والله ما جربت عليك كذباً ، ثم قال : ومتى ذاك ؟ قلت : عن سنيات والله ما هي ببعيدة**"(ابن شهر آشوب ، ١٩٥٦م ، ج٣ ، ص٣٢٠).

كما وجرى نقاشٌ مستقبليٌ غيبيٌ في مجلس الوليد بن يزيد الذي كشف لهم عن بعض التنبؤات السياسية المستقبلية، وذلك عندما دخل عليه محمد بن علي بن عبد الله ومعه ابناه أبو العباس وأبو جعفر "**فكلمه في شيء ثم خرج ، فقال لي الوليد، وأشار إلى أبي العباس، هذا صاحب بني أمية . قلت: وكم يملك منهم ؟ قال : يملك منهم أربعة وعشرون رجلا : ثمانية منهم يسمون عبد الله ، وثمانية يسمون محمدا، وثمانية أسماؤهم مختلفة ، يلي بعضهم السنة وبعضهم السنتين ، وبعضهم العشر، وبعضهم أكثر وأقل ، وآخرهم يملك أربعين سنة . قلت : وكيف علمت ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : من الكتب التي بعث بها إلي عاملي على المغرب من كتب دانيال...** "(مؤلف مجهول ،١٩٧١م ، ص١٧٠).

وفي ضوء جميع تلك النبوءات والأخبار الغيبية المتنبئة بزوال الحكم الأموي ، يمكن أنْ تطرح وفقها جملة من الاستنتاجات والاحتمالات والقراءات التحليلية التي منها :

١- من الجدير بالملاحظة أنَّ تلك النبوءات شكلت رأياً عاماً مضاد ضد الأمويين وأسهمت في رسم صورة سيئة عنهم في ذهن المجتمع آنذاك ، وجعلته منتظراً لسقوطهم بأي وقت ؛ كون تلك المغيبات صادرة من شخصيات دينية لها ثقلها وتأثيرها في المجتمعي من قبيل الرسول محمد (صلى الله عليه واله) والإمام علي (عليه السلام) وغيرها . وليس هذا فقط بل أنَّ الأمويين أنفسهم كانوا يترقبون المد العباسي وفق النبوءات التي كانت منتشرة آنذاك بقرينة أنَّ الخليفة الأموي مروان بن محمد الملقب بالحمار كان يتحرك وفق النبوءات تلك بل لعل سبب خسارته المعركة وانتصار العباسيين عليه هو يرجع إلى إيمانه المطلق بتلك النبوءات ورسم خططه العسكرية كان منسجماً مع النبوءات والتي لا شك سببت الهزيمة العسكرية

لهُ ، ومن أدلة ذلك عندما أمر مروان بمتابعة الدعاة العباسيين وإلقاء القبض عليهم ، (ينظر، الطبري ، ١٩٨٣م ، ج٦ ، ص٧٩).

وفي حادثة أخرى حركتها النبوءات هو ما أشار إليها اليعقوبي بقوله : "**وجه أبو العباس عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس لقتال مروان ، فلقيه بالزاب بالقرب من الموصل ، وإنما كان قصد مروان إلى الزاب لأن بني أمية كانت تروي في ملاحمها أنَّ المسودة لا يجوز سلطانهم الزاب ، فكانوا يتوهمون أنَّهُ زاب الموصل ، فقصده مروان ، وهو يرى أنه لا يجوزه ، وإنما ذلك زاب بأقاصي الغرب ، فحاربه عبد الله بن علي ، فهزمه ...**" (اليعقوبي ، ج٢ ، ص٣٤٥).

ووفقاً لهذه الروايات نستنتج أنَّ الأمويين كانوا ينتظرون مجيء العباسيين أشد الانتظار استناداً إلى الأخبار الغيبية والتنبؤات المستقبلية ، ويشير الدوري إلى هذا المعنى قائلاً : "**كان لهذه النبوءات أثر قوي حتى أنَّها تغلغلت بين الأمويين أنفسهم ...**"(الدوري ،١٩٩٧م ، ص٢٢)، وبالإضافة إلى قوة تأثير النبوءات تلك على شخص بمستوى خليفة أن يحدد مصير معركة فاصلة وفق قراءة خاطئة للملاحم الغيبية الواردة في هذا الشأن .

٢- يستخلص من الروايات آنفة الذكر ولاسيما النقطة الثامنة أنَّ الخلفاء الأمويين كان لديهم معلومات غيبية تفصيلية عن مستقبلهم السياسي ، ولعلَّ هذا شَكَّلَ عاملاً سلبياً لديهم إذ يلاحظ عليهم التسليم شبه المطلق لمصيرهم السياسي الايل للزوال على يد العباسيين.

وفي ضوء تلك المؤشرات لابد من طرح سؤال في هذا الخصوص وهو من أين كان يحصل الخلفاء الأمويون أو حتى العباسيين الذين سنتطرق إليهم بشكل مركز في المبحث الرابع من هذه الدراسة على المعلومات الغيبية الدقيقة ؟ وللإجابة عن هذا السؤال لابدَّ من طرح جملة إجابات واحتمالات توضيحية ، منها :

أ- بعض تلك المعلومات قد حصلوا عليها من خلال كتب الجفر والنبوءات كما هو الحال في المعلومات التي أدلى بها الوليد بن يزيد وتصريحه عن مصدره هو كتب دانيال التي ضمت العديد من النبوءات الدينية والسياسية والاقتصادية .

ب- لعل بعض الخلفاء قد سمع من ناس لهم باع طويل في مجال التنبؤ الغيبي وقراءة الكواكب والنجوم في سقوط الدول والحضارات ، ولعل من أهم النظريات العلمية والفلسفية التي تطرقت إلى الاستدلال بالكواكب والنجوم بل بالمنظومة الفلكية بصورة عامة لتحديد زمان سقوط الدول هي نظرية أو تفسير جماعة اخوان الصفا وخلان الوفا ، من نصوص ذلك " **تنقل المملكة من أُمة إلى أُمة أو من بلد إلى بلد أو من أهل بيت إلى أهل بيت آخر وهي التي تكون ويستدل على حدوثها من القِرانات التي تكون في كل مائتين وأربعين سنة مرةً واحدة ، ومنها تبدُّل الأشخاص على سرير الملك وما يحدث بأسباب ذلك من الحروب والفتن التي يُستدل عليها من القرانات التي تكون في كل عشرين سنةً مرةً واحدةً** "(اخوان الصفا ، ١٩٧٥م ، ج١ ، ص ١٥٤).

وعلاوة على ذلك فقد ذهب أخوان الصفا إلى أبعد من ذلك من خلال تحديدهم لتفاصيل دقيقة في بيان ما يطرأ على الدول من مشاكل سياسية وحركات مناهضة للدولة والفتن التي تعصف بالدول بالإضافة إلى الجوانب الاقتصادية والبيئية وبصورة عامة دراسة تفصيلية عن وضع الدولة من كافة جوانبها وتشخيص مستقبلها من كل النواحي ، ونص ذلك "**ظهور الدولة في بعض الناس والأمم وزيادة القوة في بعض السلاطين وخروج بعض الخوارج وتجديد ولاياتٍ في المُلك وما شكل ذلك من تأثيرات قوة المريخ وظهورها في العالم...**"(اخوان الصفا ، ١٩٧٥م ج٣ ، ص ٢٦٤).

ت- أو قد يكون التنبؤ ناجماً عن قراءة تأملية واستقراء تام للأحداث والوقائع ، وهذا ما أشار إليه الفيلسوف الأمريكي ول ديورانت من أنَّ "**هناك تنبؤاً ناجماً عن سعة الخيال إلى حد التنبؤ بالمستقبل على وجه التفصيل ... ولعل من صواب التفكير أنْ تتوقع في المستقبل كما حدث في الماضي صعود بعض الدول الجديدة وهبوط بعض الدول القديمة**"(اخوان

الصفا ، ١٩٧٥م ، ج٣ ، ص ٢٦٥) والذي يبدو لنا أنَّ هذا الاحتمال ضعيف إلى حد ما ؛ نتيجة محدودية الثقافة التي يتحلى بها الخلفاء الأمويون ، ولكنه ممكن الحصول .

٣- وقد أكدت الروايات آنفة الذكر أنَّ التوقيتات الزمنية لبث وترويج هذه التنبؤات كانت مختلفة ومتنوعة ، فهناك نبوءات سبقت قيام الدولة الأموية كتلك التي اطلقها أمير المؤمنين (عليه السلام) كما مَّر بنا سلفاً ، في حين رَوَّجَ لهذه المغيبات في أثناء الدولة الأموية وفي أواخر حكمها ، مما يدلل أنَّ غالبية المجتمع كان على علم ودراية بهذه النبوءات أو على أقل احتمال كانت لديه فكرة واضحة غيبية عن قرب سقوط الدولة الأموية وعدم استمرارها في الحكم طويلاً.

٤- يحتمل وبقوة أنَّ الأخبار الغيبية المستقبلية التي ذكرها الإمام علي (عليه السلام) أنفاً كانت مؤثرة بشكل كبير جداً ولاسيما في أوساط مؤيديه وأنصاره والمعتقدين به ، وأصبحت لديهم فكرة واضحة عن قرب سقوط الدولة الأموية وأنها لم تستمر طويلاً ، مما جعلهم يتشجعون لإسقاطها بشكل سهل ويسير ، ولعل هذا ما يفسر لنا كثرة الثورات والحركات المعارضة للحكم الأموي والتي كانت مادتها وأنصارها ومخططوها من الشيعة بوجه الخصوص بدلالة "**لما قتل زيد ، وكان من أمره ما كان ، تحركت الشيعة بخراسان ، وظهر أمرهم ، وكثر من يأتيهم ويميل معهم ، وجعلوا يذكرون للناس أفعال بني أمية ، وما نالوا من آل رسول الله ، حتى لم يبق بلد إلا فشا فيه هذا الخبر ، وظهرت الدعاة ورئيت المنامات وتدورست كتب الملاحم**" (اليعقوبي ، ج٢ ، ص٣٢٦)، ولا شك أنَّ تلك الثورات على الرغم من عدم تحقيقها هدفها الاساس وهو إسقاط الحكم الأموي إلا أنها أسهمت في إنهاك الأمويين وإضعافهم ومن ثم اسقاطهم الحتمي عام ١٣٢هـ.

٥- إنَّ تفاعل الشيعة مع الثورة (العباسية – العلوية) إنْ صح التعبير والتي تحولت ثمارها في النهاية لصالح العباسيين هو كان بدافع تلك التنبؤات العلوية التي صرحت وبشكل واضح عن قرب انتهاء الحكم الأموي ولاسيما أنَّ المادة الأساسية لهذه الثورة كانت من الغالبية الشيعية ، وتأسيساً على ذلك لجأ العباسيون وتحديداً دعاتهم إلى توظيف هذه النبوءات واستثمارها لصالح مشاريعهم السياسية والتي يأتي في مقدمتها إسقاط الأمويين وتأسيس دولتهم المرتقبة تحت الغطاء الديني بصبغة علوية إنْ صح التعبير.

المبحث الرابع

توظيف العباسيين للمنهج الغيبي (النبوءات) في إسقاط الدولة الأموية

يركز هذا المبحث بشكل كبير على نشاط الدعاة العباسيين في توظيفهم للنبوءات والاخبار الغيبية أو البشارات التي أشارت إلى ظهور دولة مرتقبة ستأتي على أنقاض الدولة الأموية بعد سقوطها، وقد نجح هؤلاء الدعاة نجاحاً كبيراً واستثمروا ذلك بشكل إيجابي ، ويعد نجاحهم هذا العامل الأساسي لانتصار الثورة العباسية وسقوط الدولة الأموية .

ومن اللافت للنظر أنَّ دور الدعاة آنذاك سار باتجاهين أو محورين جوهريين ، الأول : اختيار المكان المناسب لاتخاذه مركزاً ونشاطاً وبيئة للثورة العباسية وهي بلاد خراسان وفق ما اشارت إليه النبوءات حينئذ ، والثاني : توظيف الشيعة وتحديداً الذين تأثروا بالنبوءات لصالح الثورة العباسية بشكل أو باخر، ومن صور التوظيف تلك اعتقاد بعض الشيعة أن الدولة المرتقبة القادمة بعد سقوط دولة الأمويين هي دولة علوية ، وهذا ما ساعد الدعاة العباسيين وسهل مهمتهم بشكل كبير .

ومما لا شك فيه فقد نجح الدعاة العباسيون في استثمار تلك النبوءات سياسياً ودينياً لتمرير مشاريعهم السياسية، وقبل الدخول في إيراد النصوص الروائية التي أشارت إلى هذه الجزئية لابدَّ من بيان بعض المقدمات التمهيدية الضرورية لاكتمال فهم تلك النبوءات واستيعابها ونجاح الدعاة العباسيين على توظيفها واستثمارها لصالحهم.

١- استغل العباسيون النبوءات التي بشرت بسقوط الأمويين والتي تطرقنا إليها آنفاً بشكل جيد ومؤثر في نجاح ثورتهم .

٢- استحدث العباسيون نبوءات جديدة وإنْ كانت بعضها موضوعة ومفتعلة ؛ والهدف منها تضليل الرأي العام بأنَّهم هم المعنيون في النبوءات ، الذين سيكون لهم دور في أسقاط الأمويين وأنَّ العناية الإلهية هي من خصتهم بذلك وقدرت لهم ذلك ، ووفقاً لذلك فقد هيَّؤوا الرأي العام لاستقبال مثل تلك النبوءات ولاسيما في أوساط المجتمع الشيعي الذي هو بلا شك كان مهيئ مسبقاً لتقبل مثل تلك الغيبيات ، وقد أشرنا إلى هذه الحقيقية آنفاً من هذه الدراسة .

٣- ولعل هذا ما يفسر لنا أن المادة الأساسية للثورة العباسية كانت من الشيعة أو ممن له هوى علوي أو يحقد على الأمويين ويبغضهم .

وفي ضوء هذه الفلسفة والتنظيرات العباسية فقد روجت المنظومة الفكرية العباسية للعديد من النبوءات المستقبلية التي تبشر بمستقبلهم السياسي المرتقب الزاهر وبالتأييد الإلهي لهم ، ومن أبرز تلك الروايات هي :-

الرواية **الأولى:** وفيها يتساءل ابن عباس من علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن دولتهم المرتقبة المستقبلية ، قائلاً : "**متى دولتنا يا أبا حسن ؟ قال إذا رأيت فتيان أهل خراسان أصبتم أنتم إثمها وأصبنا نحن برها**" (المروزي ، ١٩٩٣م ، ص ١١٥).

الرواية **الثانية:** والتي فيها يتنبأ محمد بن الحنفية عن دولة بني العباس ويحدد مكان انطلاقها ، قائلاً : "**تخرج راية سوداء من خراسان لبني العباس**"(المروزي ، ١٩٩٣م ، ص ١١٥).

الرواية **الثالثة:** وتشير هذه الرواية إلى المحاورة بين ابن عباس ومعاوية بن أبي سفيان حول إرهاصات الدولة العباسية المرتقبة : "**يا أبا العباس هل يكون لكم دولة ؟ قال اعفني من هذا يا أمير المؤمنين قال لتخبرني قال : نعم ،وذلك في آخر الزمان قال فمن أنصاركم ؟ قال أهل خراسان** ..." . (ابن عساكر ، ١٩٩٤م ، ج٦ ، ص١٦١).

الرواية **الرابعة:** قال رسول الله (صلى الله عليه واله) "**تخرج من المشرق رايات سود لبني العباس ثم تمكث ما شاء الله ثم تخرج رايات سود صغار على رجل من ولد أبي سفيان وأصحابه من قبل المشرق**" (المروزي ، ١٩٩٣م ، ص١١٧).

الرواية **الخامسة:** عن السيدة عائشة أنَّها قالت : "**سيكون لبني العباس راية ولن يخرج من أيديهم ما أقاموا الحق**" (السيوطي ، ص١٩).

الرواية **السادسة:** تورد هذه الرواية تفاصيل دقيقة عن أنصار بني العباس في مشروعهم السياسي في إقامة دولتهم إذ يقول ابن عباس "**إذا رأيتم الرايات السود تجيء من قبل المشرق فأكرموا الفرس فإن دولتنا فيهم** ..."(المروزي ، ١٩٩٣م ، ص١١٦).

الرواية **السابعة:** يرويها أبو هريرة عن رسول الله (صلى الله عليه واله) قائلاً : "**إذا خرجت الرايات السود فإن أولها فتنة وأوسطها ضلالة وآخرها كفر**"(المروزي ، ١٩٩٣م ، ص١١٦).

الرواية **الثامنة:** وهنا تعليق قيم لابن خلدون قائلاً : "**لم يزل أمر الإسلام جميعا دولة واحدة أيام الخلفاء الأربعة وبنى أمية من بعدهم لاجتماع عصبية العرب ثم ظهر من بعد ذلك أمر الشيعة وهم الدعاة لأهل البيت فعلت دعاة بنى العباس على الأمر واستقلوا بخلافة الملك**" (ابن خلدون ، بيروت ـ د.ت ، ج٣ ، ص١٧٠).

الرواية **التاسعة:** وردت محاورة بين شبيب بن شيبة إحدى الشخصيات القبلية المرموقة في البصرة (ينظر، الخطيب البغدادي، ١٩٩٧م ج٩، ص ٢٧٧- ٢٧٩) وبين محمد بن علي بن عباس العباسي والد الخليفة أبي العباس السفاح والمنصور الدوانيقي في عهد خلافة هشام بن عبد الملك ابن مروان ، وهو يسأله عن دولتهم المرتقبة قائلاً : "**يزعم أهل**

العلم بالكتاب أنها ستكون لكم دولة لا شك فيها ، تطلع مطلع الشمس ، وتظهر بظهورها ، فأسأل الله خيرها ، ونعوذ به من شرها . قال : فخذ بحظ لسانك ويدك منها إن أدركتها ..." (ابن قتيبة ، ١٩٦٧م ،ج٢ ، ص ١٣٩-١٤١).

الرواية **العاشرة**- تسرد هذه الرواية موقف الشيعة من مؤسس الدولة العباسية والداعية الأول لبني العباس وهو محمد بن علي العباسي، ونص ذلك: "**وكان أول من قدم من الشيعة ميسرة العبدي ، وأبو عكرمة السراج... فقدم هؤلاء عليه ، فأرادوه على البيعة ، وقالوا له : ابسط يدك لنبايعك على طلب هذا السلطان ، لعل الله أن يحيي بك العدل ، ويميت بك الجور، فإن هذا وقت ذلك ، وأوانه ، والذي وجدناه مأثورا عن علمائكم فقال لهم محمد بن علي : هذا أوان ما نأمل ونرجو من ذلك لانقضاء مائة من التاريخ ، فإنه لم تنقض مائة سنة على أمة قط إلَّا أظهر الله حق المحقين ، وأبطل باطل المبطلين، لقول الله جل اسمه {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا}** (البقرة ، الآية ٢٥٩) **قال ، إنَّى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ، ثم بعثه فانطلقوا أيها النفر ، فادعوا الناس في رفق وستر ، فإني أرجو أن يتمم الله أمركم ، ويظهر دعوتكم ، ولا قوة إلَّا بالله**" (الدينوري ، ١٩٦٠م، ص٣٣٢).

وبعد إيرادنا لهذه النصوص الروائية لابدَّ من تحليلها وتوضيحها وتفسيرها وفق المعطيات التاريخية السالفة ، فضلاً عن طرح الاحتمالات المسندة بالأدلة والقرائن المؤيدة لها وذلك ؛ لأنَّ الموضوع فيه مساحات واسعة تحتاج معالجة من خلال طرح الاحتمالات والأطروحات المنهجية التي تفيد في فهم أولي للموضوع وتحل بعض إشكالياته وتعقيداته وغموضه ، ومن ذلك :

أولاً- من اللافت للنظر ومن خلال الروايات التي أوردناها آنفاً آنَّها تشير إلى أنَّ تداول تلك النبوءات أو البشارات الخاصة بالدولة العباسية والتي اصطلحت عليها تلك الروايات باسم أصحاب **(الرايات السود)** كانت منتشرة في أوساط المجتمع الإسلامي حتى قبل تأسيس الدولة الأموية ، مما يعني أنَّ القيادات الأموية كان لديها تصور وإنْ كان أولياً عن مجيء أصحاب الرايات السود للحكم وسقوطهم المبكر، بدلالة ما أشارت إليه الرواية الرابعة أنفة الذكر ، هذا من جهة ومن جهة أخرى أنَّ الرأي العام وتحديداً العلوي هو الآخر كان لديه فكرة عن هذه الدولة ، ولكن ربما يعتقد أنَّها دولة علوية بامتياز أو أنَّهُ كان يحتمل بأنَّها ستكون ذات هوى علوي وتنسجم مع أفكارهم وآرائهم ونظرياتهم الدينية والسياسية التي يعتقدون بها.

٢- إنَّ ارتكاز الثورة العباسية على الشيعة بشكل أساسي يفسر لنا مدى تفاعل الشيعة مع هذه الثورة وهذا ينتج عنه تفسيرين جوهريين هما :

التفسير الأول : اعتقاد هؤلاء الانصار من الشيعة أنَّ هذه الدولة دولة علوية وناصرة لإل محمد (صلى الله عليه واله) ولاسيما ان الثورة تبنت شعار **(الرضا من آل محمد)**

التفسير الثاني : إنَّ الشيعة ناصروا الثورة العباسية وهم يعتقدون بأنَّها لا تمت لهم بصلة وأنها عباسية خالصة ، ولكن اشتراكهم كان لأجل أسباب مادية أو سياسية أو دينية بغضاً وكرهاً بالأمويين ، وهذا الرأي ذهب إليه الدكتور محمد عبد الحي شعبان ، قائلاً "**إنَّ شيعة أهل الكوفة لم يدخروا جهداً في النهوض ضد بني أمية وفي الاشتراك بكل ثورة تنشب ضدهم ... وكانوا دون ريب على أتم الاستعداد للمشاركة بهذه الحركة الجديدة أيضاً ...**"(شعبان ، ١٩٧٠م،ص ٢٤٠).
ويمكن ترجيح التفسير الأول ، لعدة أمور منها :

١- إنَّ التفسير الأول هو الأقوى احتمالاً من الثاني بقرينة أنَّ الدعوة العباسية قد أوهمت الرأي العام ولاسيما الشيعي أنها علوية ومن ثم انحرفت وتحولت عباسية بدلالة اشتراك بعض الزعامات العلوية ، فضلاً عن توظيف العباسيين لشعار (الرضا من آل محمد) الذي تم توظيفه بشكل ينم عن خبرة العباسيين إذ لم يحددوا من هو المقصود بهذا الشعار ولم يخصوا به أحداً بمعنى جعلوه سرياً إذ كانت ضمن توصيات محمد بن علي العباسي لأحد دعاته "**أن يدعو إلى الرضا من**

آل محمد ولا يسمّي أحدا..." (البلاذري، ١٩٧٩م ، ج٤ ، ص٨٢)، ويعلل أحد الباحثين السبب في السرية تلك "**حتى لا يفطن له الأمويون ويقتلونه هو واتباعه...**" (الوكيل ، ١٩٩٨م، ص٧)، ويذهب الدوري إلى أنَّ الدعاة العباسيين قد وظفوا أخبار التكهنات والنبوءات لصالح مشروعهم السياسي منذ بداية ثورتهم ، قائلاً : "**واستغل الدعاة التنبؤ والتكهن ... ووضعوا النبوءات عن مجيء سلطان آل البيت منذ أول الدعوة ...**"(الدوري ، ١٩٧٩م ، ص٢٢).

ويستدل على ذلك أيضاً ما صرح به ابن طباطبا بأنَّ الرأي العام آنذاك ولاسيما الشيعي كان يعتقد أن الدولة المرتقبة أو الثورة ستكون للعلويين ، ونص ذلك "**وكان محمد بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو المعروف بابن الحنفية ، قد اعتقد الناس أنه صاحب الدولة بعد مقتل أخيه الحسين بن علي (ع) ماعدا الإمامية فان اعتقادهم إمامة علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) وإمامة بنيه واحدٍ بعد واحد إلى القائم محمد بن الحسن (عليه السلام)**"(ابن طباطبا ، ص ١٤٢).

ويؤيد المستشرق فلهاوزن الرأي الذي يذهب إلى المشاركة الشيعية في الثورة العباسية ؛ كونهم أي الشيعة موجودين في خراسان وقد وظفهم الدعاة العباسيون لأسقاط الدولة الأموية قائلاً : "**الشيعة الذين كانوا قد انتشروا في خراسان في وقت مبكر ثم جاؤوا بالعمل الحاسم في إسقاط الدولة العربية** " (فلهاوزن ، ١٩٦٨م، ص ٤٧٣).

وتتفق الدكتورة نبيلة حسن مع التفسير الوارد أنفاً بقولها : "**المعروف أنَّ الدعوة العباسية شيعية الاصل ، وأنَّ الدعوة الشيعية التي قامت باسم ال البيت والتي نادت بأنَّ العلويين هم الورثة الطبيعيون لخلافة النبي (صلى الله عليه واله) وجدت في خراسان أرضاً صالحة ...**" (نبيلة ، ١٩٩٣، ص ٥٨)

فضلاً عن ذلك محاولة مهندس الثورة العباسية أبي مسلم الخرساني الذي أراد من خلالها كسب تأييد وشرعية زعيم العلويين آنذاك الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) من خلال الدعوة له ، وذلك أنه "**بعث إلى الصادق جعفر بن محمد رضي الله عنهما إني قد أظهرت الكلمة ودعوت الناس عن موالاة بني أمية إلى موالاة أهل البيت فإن رغبت فيه فلا مزيد عليك فكتب إليه الصادق رضي الله عنه ما أنت من رجالي ولا الزمان زماني فحاد أبو مسلم إلى أبي العباس عبد الله بن محمد السفاح وقلده أمر الخلافة**" (الشهرستاني ، ١٩٦١م ، ج١ ، ص١٥٤).

ولنفس المهمة راسل أبو سلمة الخلال أحد أشهر دعاة بني العباس في العراق الإمام الصادق (عليه السلام) فكان جوابه : "**وما أنا وأبو سلمة ؟ هو شيعة لغيري فقال الرسول : تقرأ الكتاب وتجيب بما رأيت فقال جعفر لخادمه : قرّب السراج منّى فقرّبه فوضع عليه كتاب أبى سلمة فأحرقه ، قال : ألا تجيبه ؟ ، قال : قد رأيت الجواب**"(مسكويه ، ٢٠٠١م ، ج٣ ، ص٣١٧).

وعند التمعن في هاتين الروايتين آنفتا الذكر والتأمل في جواب الإمام الصادق (عليه السلام) نستنتج منها عدة ملاحظات واحتمالات تفسيرية مهمة ، منها :

أ- نفى الإمام الصادق(عليه السلام) نفياً قاطعاً أنْ تكون هذه الدولة المرتقبة علوية أو أنها تمت للعلويين بصلة سواء أكانت قريبة أو بعيدة ، مما يعني أن فكرة الدولة المنتظرة بعد سقوط الأمويين كان يعتقد بأنها ستكون علوية خالصة ، وكان هذا الاعتقاد سائداً لدى القواعد الشيعية سواء في إيران أو حتى العراق وبنسبة عالية ، ويستدل على ذلك ما ذكره الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) لعمه عبد الله بن الحسن الذي كان يعتقد ويخطط للوصول إلى السلطة أو الخلافة إليه ولولديه من بعده (محمد وإبراهيم) عقب زوال الحكم الأموي ، ولكن الإمام (عليه السلام) أخبره خلاف ذلك وأنَّ الحكم لم يصل إليه ولا إلى أولاده ، وإنما سيصل لبني العباس حصراً ، مما أثار سخط عبد الله بن الحسن وانزعاجه ، قائلاً له (عليه السلام) : "**إن هذا الأمر ، والله ليس إليك ، ولا إلى ابنيك ، وإنما هو لهذا - يعني السفاح - ثم لهذا - يعني**

المنصور ، ثم لولده من بعده ، لا يزال فيهم حتى يؤمر الصبيان ، ويشاور النساء . فقال عبد الله : والله يا جعفر ، ما أطلعك الله على غيبه ، وما قلت هذا إلا حسدا لابني . فقال : لا والله ما حسدت ابنك ، وإن هذا – يعني أبا جعفر – يقتله على أحجار الزيت ، ثم يقتل أخاه بعده بالطفوف ، وقوائم فرسه في الماء . ثم قام مغضبا يجر رداءه ، فتبعه أبو جعفر فقال : أتدري ما قلت يا أبا عبد الله ؟ قال : إي والله أدريه ، وإنه لكائن" (ابو الفرج الاصفهاني ، ١٩٧٤م ، ص١٧٢).

ب– لعل سبب حدة وشدة إجابات الإمام الصادق (عليه السلام) تنم عن قطع أي اتصال مع الدعاة العباسيين ونفي أي ارتباط عقائدي أو سياسي مع هؤلاء الدعاة وإيصال رسالة قوية للشيعة بذلك من خلال تلك الأمور ومنها حرق الرسائل ، كي يستقبلها الرأي العام ولاسيما الشيعي بسرعة فائقة ويرتب عليها النتائج المرجوة .

ت– نجد أنَّ الإمام الصادق لم يرتب أي نتيجة على هذه الدعوة المشبوهة ؛ كونه يعلم بها علم اليقين بعدم مصداقيتها وأنَّها تحمل جنبة سياسية بحتة هدفها وغايتها توظيف الشرعية العلوية لتحقيق المكاسب العباسية السياسية والوصول للسلطة ؛ لذلك رفضها الإمام (عليه السلام) رفضاً قاطعاً معلناً بشكل صريح انَّ هذه الثورة ودعاتها لا تمت بأي صلة لأهل البيت (عليهم السلام) لا من قريب ولا من بعيد مما ترتب على هذه المحاولة الفشل وعدم النجاح .

ث– كشف الإمام الصادق من خلال جوابه عن تلك الرسائل ونقده الشديد للشخصيات المرسلة بأنها ليس شيعية ولا تحمل أي ميول علوية، مما يفهم من ذلك أنَّ القواعد الشيعية كانت تعتقد بها أو تميل إليها، لذلك صرح الإمام بنفي ولائها الشيعي العقائدي أو السياسي وأنَّ في هذا الوقت ليس للعلوين دولة وهو غير زمانهم.

وفي ضوء هذا المفهوم يمكن أنْ يطرح تساؤل مهم للغاية ، وهو إنْ كان موقف الإمام (عليه السلام) بهذه الصلابة والمقاطعة الشديدة لهؤلاء الدعاة أو القيادات العباسية ، فكيف استطاعوا توظيف بعض الشيعة والتأثير عليهم لصالح ثورتهم ، والجواب عن ذلك، أنَّ هذه الرسائل كانت متأخرة جداً وأنَّ الدعاة العباسيين قد قطعوا شوطاً كبيراً في تحقيق اهدافهم ورسم خططهم لنجاح ثورتهم وبمعنى آخر أنَّ هذه الرسائل كانت في نهاية انتصار الثورة العباسية وليس في بداياتها ، لذلك لم يكن لها ذلك المفعول والتأثير الكبير ، أمَّا لماذا أجاب الإمام بهذه الإجابات وهو يعلم بعدم تأثيرها الكبير فهو من باب المسؤولية وبيان موقفه السياسي من الثورة العباسية كي لا تترتب عليه نتائج مستقبلية أو أنْ يتم خداع الرأي العام مرة أخرى فأراد الإمام من ذلك قطع الطريق أمام العباسيين ودهاء توظيفهم وخبرتهم السياسية .

ومن هذا المنطلق تبنى العباسيون مسألة الثأر من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) والانتقام منهم ، مما جعل القواعد الشيعية تتفاعل معهم بشكل كبير ، وهذا ما نوهت إليه الرواية العاشرة أنفة الذكر بشكل واضح من تفاعل بعض الزعامات والقيادات الشيعية مع مؤسس الدولة العباسية وداعيتها الأول محمد بن علي بن عبد الله العباسي ، ويميل الدكتور عبد العزيز الدوري إلى هذا الرأي ، قائلاً : **"ثم حاول العباسيون جلب كل المقاومة الشيعية (العلوية) إلى صفوفهم مهما كان نوعها واظهروا غايتهم الأولى وهي قلب الدولة الأموية واخفوا الثانية وهي سعيهم لأخذ الخلافة "** (الدوري ، ١٩٧٩م، ص٢٤).

٢– يضاف إلى ذلك وبحدود اطلاعنا لم نجد نصوصاً روائية صريحة تؤيد التفسير الثاني.

وتأسيساً على هذين العاملين، يعَدُّ التفسير الثاني ضعيفاً في حين أمتاز التفسير الأول بالرؤية الاحتمالية الأقرب للواقع ، وقد أيدتهُ القرائن والتحليلات آنفاً .

ثانياً– أوردت الروايات ذات الطابع الغيبي سالفة الذكر أنَّ علامة أو شعار الدولة المرتقبة التي ستسقط الأمويين هي الرايات السود ، وهذا ما يفسر لنا سبب تبني الدعاة العباسيين شعار الرايات السود وهو لاشكَّ توظيف لتلك النبوءات

ومحاولة التأثير على الرأي العام بأنهم هم المعنيون من تلك النبوءات الغيبية التي تحدثت عن تلك الرايات ، وهذا ما ذهب إليه الدوري في تعليله وتفسيره لتلك الشعارات قوله : "**وكان لاختيار الراية السوداء علاقة بكتب الملاحم ، إذ كان لواء الرسول (ص) في حروبه مع الكفار أسود لذا صارت الراية السوداء رمز الحق والعدل ، ومن ثم صار من الضروري للإمام الذي يزول على يده سلطان بني أمية أن يتخذ الالوية السوداء شعاراً له** "(الدوري ، ١٩٧٩م ، ص٢٢).

واستناداً إلى ما تم ذكر سابقاً فقد صرح أحد أبرز دعاة بني العباس وهو إبراهيم الإمام من أن اختيارهم للشعارات والزي الخاص بهم كان وفق النبوءات ، ويستدل على ذلك من خلال محادثته أو محاورته مع أحد الشخصيات العلوية قائلاً : "**إذا شارفتم الثلاثين والمئة نجم حقكم ثم لا يزال في نماء ، وظهور دعوتكم في البلاد كلها ، والسواد ... لباسنا ولباس أنصارنا وفيه عزنا ، وهو جند أيدنا الله به ، وسأخبرك عن ذلك . كانت راية رسول الله (صلى الله عليه واله) سوداء ، وكانت راية علي بن أبي طالب سوداء ، فعليكم بالسواد فليكن لباسكم ، وليكن شعاركم : يا محمد يا منصور**" (مؤلف مجهول ، ١٩٧١م ، ص٢٤٥).

وفي قبال ذلك شكك أحد الباحثين بهذه الرايات عادًّها من صنع العباسيين قائلاً : "**وأما أحاديث الرايات السود القادمة من قبل المشرق أو من قبل خراسان على يد العباسيين المنتشرة في بعض مصادر التاريخ والحديث فيغلب عليها الوضع ، لكن يجب التفريق بين ما ورد من أحاديث موضوعة في رايات العباسيين وما صح من الرايات السود القادمة من المشرق لنصرة المهدي الذي يخرج آخر الزمان**" (الاقصم ،٢٠٠٨م ، ص ص ١٠٢-١٠٣) وللوقوف على هذا الرأي وتحليله لابد من إيراد مناقشتين أساسيتين تسهمان في تضعيفه وعدم مقبوليته ، وهما :-

المناقشة الأولى: إنَّ الحكم على جميع الأخبار الواردة عن الرايات السود التي تخص العباسيين أمر غير دقيق إذ أنها وردت في أغلب المصادر وبشكل مستفيض ، يضاف إلى ذلك إنَّ الواقع يثبت صحة تلك الاخبار إذ أنَّ العباسيين حققوا انتصاراً سياسياً كبيراً على الأمويين ونتج عن ذلك تأسيس دولة قوية وفقاً لتلك النبوءات.

المناقشة الثانية: نتفق مع هذا الرأي من جانب معين وهو توظيف العباسيين للرايات السود التي بشرت بها بعض الأخبار والتي قصدت بها الرايات الناصرة للإمام المهدي (عليه السلام) والتي ستظهر عقب قيام الدولة المهدوية الموعودة ، حيث عمل العباسيون على إيهام الرأي العام وتضليله وتحديداً الشيعي على أنَّهم المعنيون بتلك الرايات .

وتدل السياسات تلك أو الاجراءات السياسية على مدى تأثر العباسيين في تلك النبوءات وتحركهم ورسم خططهم كان طبقاً وتنفيذاً لتلك الأخبار الغيبية المستقبلية التي كانت منتشرة آنذاك، وأنَّ توظيفهم لمجمل أخبار النبوءات كان أحد عوامل النصر والنجاح لثورتهم في إزالة الحكم الأموي وإنهاء وجوده.

ثالثاً- من خلال القراءة الدقيقة للروايات آنفة الذكر يستشف منها أنَّها أكدت على جغرافية بلاد فارس بشكل كبير من حيث مساحة تحرك الثورة ومادتها وأنصارها ومهد انطلاقها، وقد اختلفت الدوافع التي حفزت الدعاة العباسيين على اختيار بلاد خراسان منطلقاً لثورتهم، فهذا المؤسس والداعي الأول للعباسيين يلزم أنصاره بضرورة اختيار خراسان منطلقاً لتحركاتهم، بقوله: "**عليكم بخراسان فإنَّ هناك الصدور السليمة والقلوب الفارغة التي لم تتقاسمها الأهواء ولم تتوزعها النحل** "(ابن الجوزي، ١٩٩١م ، ج٧ ، ص٥٦)،ومعنى ذلك أن أهل خراسان بعيدون عن التقلبات السياسية والعقائدية التي كانت منتشرة آنذاك ولازالوا حديثي العهد بالإسلام ، فيما رجح الباحث السوري رفيق المهايني فلسفة ذلك الاختيار إلى ثلاث عوامل أولها أن الخرسانيين يرون أحقية أهل البيت (عليهم السلام) بالخلافة دون غيرهم وأنَّ الأمويين غير مستحقين لها ، وأما العامل الثاني فيتعلق بسياسة الاضطهاد التي مورست ضدهم من قبل الدولة الأموية في حين اقتصر العامل الثالث على رغبة الفرس في إعادة مجدهم الغابر وملكهم المندثر (المهايني، ١٩٤٦م، ص ١٠٦) ، ويقترب من هذا الرأي الدكتور

عبد العزيز الدوري قائلاً : "**رغبة في التخلص من أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية السيئة ...**" (الدوري ١٩٧٩م ، ص١٠) ومن ضمن التفاسير التي لا يتفق معها الدكتور فاروق فوزي هو العامل العنصري والذي يشير إلى أنَّ "**الثورة العباسية على أنَّها ثورة فارسية ضد السيادة العربية في الدولة ويرى أنَّ سوء أوضاع الموالي والعجم من غير المسلمين من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية هو الذي دفعهم إلى الانضمام إلى الثورة واحتضانها** " (فوزي ، ١٩٨٨م ، ص١٠) ويناقش فوزي هذه النظرية محاولاً التقليل من أهمية دور الفرس في الثورة العباسية إذ يرى أنَّ العرب لم يكونوا بعيدين عن الثورة العباسية ، وكان لهم وجود كبير وأثر عميق فيها وعلى حد تعبيره فقد "**شكلوا القوة الضاربة للثورة**"(فوزي ، ١٩٨٨م ، ص١٣) ، ولم يبتعد كثيراً الدكتور حسين أحمد عطوان عمن سبقه من الباحثين فهو يرى أنَّ الذي دفع الخراسانيين للمشاركة في الثورة أنهم كانوا "**يتذمرون من ممارسات بني أمية المالية والسياسية الفاسدة ويكرهون تجبرهم واستبدادهم ويتطلعون إلى من ينقذهم منهم**" (عطوان ، ١٩٩٥م ، ص١٧١) وتقترب الدكتورة نبيلة حسن كثيراً من هذه الآراء لقولها : "**بدأت الولايات الايرانية في الخروج على سلطان الخلافة في بلاد الشام ... وذلك عندما ظهرت مشكلة الدخول في الإسلام ودفع الجزية ...**" (نبيلة ، ١٩٩٣، ص ٥٣).

ويقدم أحد الباحثين أيضاً رؤية تحليلية لم تخرج عن النظرية العامة لما أورده المختصون سلفاً وهو يطرح سؤالاً مهماً قائلاً :"**لماذا أختار العباسيون إيران لتكون بداية حركتهم وثقلها العسكري ، فهي شعب خام فكرياً بالنسبة إلى الدين وقد عاش ظلم الولاة الأمويين والحاميات العربية التي تتحكم فيه** " (الكوراني ٢٠٠٤م ، ج٥ ، ص٢١٨) ، وقدم الدكتور حسن إبراهيم حسن رؤية جديرة بالإشارة إذ يعلل سلوك الدعاة العباسيين نحو أهل خراسان "**لأنَّ أهل خراسان يفهمون فكرة التشيع بسهولة ...**" (حسن ، ١٩٩٦ ، ج١ ، ص ١٥) ، ويضيف إلى ذلك أن الفرس كان هدفهم من المشاركة في الثورة هو "**التخلص من حكم الأمويين لما ارتكبوه من وسائل العنف في قمع ثورات العلويين ومالوا إلى نصرة بني هاشم...**"(حسن ، ١٩٩٦م ،ج٢ ،ص ١٦).

ويستنتج من خلال آراء الباحثين المحدثين الواردة آنفاً التي تعرضت لبيان العوامل التي دفعت الدعاة العباسيين لاختيار بلاد خراسان دون غيرها من البلدان والمناطق الأخرى أنصاراً وأعواناً لهم في ثورتهم ؟ ولماذا تفاعل الخراسانيين معهم وكانوا مادة الثورة الاساسية أو أحد عوامل نجاحها الجوهرية ؟ وقد إجاب الباحثون كما مَرَّ بنا سلفاً بإجابات وتحليلات وتفسيرات مختلفة أغلبها فسرت ذلك بالعوامل السيئة والأوضاع المتردية للفرس وتعامل الدولة الأموية معهم كمواطنين من الدرجة الثانية ، مما سيترتب على ذلك عدة نتائج وتحليلات لتلك الآراء وإعادة تفسيرها بقراءة منهجية علمية ، وإنْ كانت بطور الاحتمالات المؤيدة بالقرائن والأدلة ، والتي منها :

١- يوجد تقارب كبير في أغلب الآراء والتفسيرات التي طرحها هؤلاء الباحثون بخصوص العوامل التي دفعت الدعاة العباسيين في اختيار بلاد خراسان دون غيرها ، وكانت تتركز بشكل كبير جداً على المشاكل والتعقيدات السياسية والدينية والاقتصادية المتدهورة إبان الدولة الأموية التي كان يعاني منها الخراسانيون آنذاك، ومما لا شكَّ فيه أنَّ تلك العوامل كانت واقعية وشكلت نقطة جوهرية ومنعطفاً في الثورة العباسية ومحرك لها ولأحداثها .

٢- إنَّ أغلب تفسيرات الباحثين الواردة آنفاً كانت أحادية الاتجاه بمعنى آخر أغلبها عالجت مشاكل الخراسانيين فقط وأهملت العوامل التي دفعت الدعاة العباسيين إلى اختيار هذه المناطق دون غيرها وأنَّها سلطت الأضواء على العوامل التي دفعت الفرس للمشاركة في الثورة العباسية ، دون أنْ تبحث دوافع الدعاة في توجههم نحو بلاد فارس وتحديداً الخراسانيين .

٣- ويبدو لنا أنَّ نظرية الدكتور حسن إبراهيم آنفة الذكر هي الاقوى احتمالاً والمرجحة بشكل كبير، إذ كان الخراسانيون من العناصر الموالية لأهل البيت (عليهم السلام) وأنَّهم وقعوا تحت تأثير إعلام الدعاة العباسيين من جهة ، وما نظرت

إليه النبوءات وبشرت به من أنهم على أياديهم ستزول الدولة الأموية ، ولكن هذا لا يعني عدم فعالية العوامل الاخرى التي أشار إليها الباحثون أنفاً في هذا الصدد.

٤- وفي ضوء ما ورد يستشف أنَّ أغلب تعليلات الباحثين تلك ونظرياتهم قد خلت من بيان العوامل المتعلقة بالدعاة العباسيين والتي دفعتهم نحو بلاد خراسان والتي من المحتمل بشكل كبير كانت النبوءات هي العامل الجوهري والمحرك الفعال في دفع هؤلاء الدعاة لاختيار بلاد خراسان موطناً وبيئة حاضنة لثورتهم ، ويستدل على هذه النظرية ما أوردته الروايات العشرة التي أشرنا إليها آنفاً من هذه الدراسة وتحديداً الرواية الأولى والثانية والثالثة والرابعة والسادسة والتي جميعها حددت جغرافية الثورة المرتقبة في بلاد فارس وشخصت أنصارها من الخراسانيين ، لذلك كانت توجيهات محمد بن علي العباسي لداعته وأنصاره والقائمين على الثورة "**واستكثر من الأعاجم ، فإنهم أهل دعوتنا ، وبهم يؤيدها الله**" (مؤلف مجهول، ١٩٧١م، ص ٢٠٤)، فمن غير المعقول أنْ يهمل هؤلاء الدعاة بلاد خراسان ويتوجهوا إلى غيرها ؛ كونها الموعودة في النبوءات المستقبلية التي ستتحقق الدولة العباسية بجهودهم .

وعلاوة على ذلك فأنَّ مؤسس الدولة العباسية وداعيتها الأول محمد بن علي العباسي كان يميل إلى الاعتقاد بنظرية شعب الله المختار إذ يرى أنَّ شعب خراسان قد وهبهم الله له وهم خاصته وبهم تتحق دولته المرتقبة وترى النور بجهودهم لقوله : "**أبى الله أنْ يأتي بالشمس من المغرب ، وأحب أن يأتي بها من المشرق ... وقد خصنا الله بأهل خراسان ، فهم أنصارنا وأعواننا وذخائرنا ... وتقتل من قاتلهم حتى يعز دين الله ويظهر الحق وأهله ، يقول الله عز وجل : {أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا}** (الرعد ، الآية ١٧) **فكأنكم بالأودية قد سالت برجال خراسان أشد في طاعتنا من زبر الحديد ، أسماؤهم الكنى ، وأنسابهم القرى ، يقدمهم النصر ، ويحوطهم العز...**" (مؤلف مجهول ، ١٩٧١م، ص ٢٠٥).

الخاتمة وأهم النتائج المستخلصة

توصلت الدراسة الموسومة **(سقوط الدولة الأموية (٤١هـ /١٣٢هـ) في ضوء المنهج الغيبي (النبوءات) دراسة تحليلية)** إلى جملة من النتائج والمعطيات التي منها :-

١- استعرضت الدراسة جملة من العوامل والنظريات التي طرحها المؤرخون والباحثون المحدثون والتي حللت وتعرضت لتفسير وتعليل سقوط الدولة الأموية منها عوامل سياسية واقتصادية وأخرى اجتماعية واخلاقية وغيرها كثير ، وقد تم استعراضها بشكل تفصيلي في هذه الدراسة ، ولكن أغلب هؤلاء المؤرخين والباحثين قد أهلموا العامل الغيبي (التنبؤات) ودوره في إسقاط الدولة الأموية سوى بعض الإشارات البسيطة المتناثرة هنا وهناك ، على الرغم من أهمية هذا العامل ودوره الفاعل في إسقاط الأمويين سواء أكان بشكل مباشر أم غير مباشر.

٢- لاحظت الدراسة أنَّ اغلب النبوءات التي تعرضت لها إنْ لم نقل جميعها اتسمت بالوضوح والمفهومية ، وابتعادها عن الغموض والرمزية، في حين أغلب النبوءات ولاسيما نبوءات الكتب المقدسة التوراة والإنجيل والنبوءات الأوربية تحديداً نبوءات العراف الفرنسي اليهودي نوستر اداموس قد اتصفت بالغموض والرمزية ، مما جعلها تقبل الكثير من التفسيرات والتأويلات ، وقلل من مصداقيتها أو تطبيقها على أرض الواقع .

٣- توصلت الدراسة إلى وجود عامل مشترك بين سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية ألا وهو عامل النبوءات الذي أسهم في إسقاط الأمويين من جهة ومن جهة أخرى وظفه الدعاة العباسيون في ثورتهم ضد الأمويين التي كتب لها النصر على الأمويين وانهاء وجودهم .

٤- وظف العباسيون بعض الأخبار والروايات الموضوعة والمختلقة ذات الطابع الغيبي بهدف التأثير على الرأي العام في تحقيق مشروع ثورتهم المرتقبة .

٥- لعبت النبوءات المستقبلية دوراً فعالاً في إسقاط الأمويين وتحجيم نشاطهم السياسي والعسكري بل الأكثر من ذلك حتى في معركتهم الأخيرة مع العباسيين حيث تحرك الخليفة مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين في اختيار موقع المعركة استناداً إلى بعض النبوءات المنتشرة آنذاك والتي سببت له الخسارة العسكرية الكبيرة التي على أثرها سقطت الدولة الأموية.

٦- إنَّ عوامل نجاح الثورة العباسية يعود لجملة من العوامل منها اختيار الأنصار والزمان والمكان وكانت جميع تلك خاضعة للنبوءات التي فصلنا الحديث فيها في هذه الدراسة.

٧- ناقشت هذه الدراسة بشكل مستفيض مجمل الآراء والنظريات التي تعرضت لبيان الأسباب التي دفعت الدعاة العباسيين إلى اختيار بلاد خراسان منطلقاً ونواةً لتحركاتهم وتخطيطاتهم السياسية والعسكرية ، وقد أضافت الدراسة عاملاً جوهرياً وأساسياً هو من دفهم لهذا الاختيار وهو عامل سكاني يتعلق بوجود الشيعة والموالين لأهل البيت (عليهم السلام) وبكثافة كبيرة ، في حين لم تركز مجمل الآراء التي أوردناها في هذه الدراسة على هذا العامل ، وإنما طرحت عوامل أخرى متعددة ومختلفة ناقشنا أغلبها في هذه الدراسة .

٨- كشفت الدراسة عن حجم انتشار الاخبار الغيبية والتنبؤات ليس في أوساط عامة الناس فحسب بل في اغلب الأوساط الرسمية السياسية من خلفاء وأمراء وشخصيات متنفذه في الحكم ، مما يدلل على أهمية تلك الأخبار وفاعليتها في اتخاذ القرارات وتشخيص المستقبل السياسي المرتقب سواء للدولة الأموية والدعاة العباسيين الذين ينتظرون دولتهم المرتقبة وفق تلك الغيبيات .

٩- إنَّ سقوط الدولة الأموية كان باتجاهيين أساسيين اتجاه يتعلق بالدولة الأموية نفسها والذي ركز عليه أغلب الباحثين المحدثين ، أمَّا الاتجاه الثاني فإنَّهُ لم يلقَ اهتماماً واضحاً من قبل المختصين ويتعلق بنجاح الدعاة العباسيين ، وان نجاح هؤلاء الدعاة كان مرتبطاً بالنبوءات كما مَرَّ بنا في هذه الدراسة .

١٠- لم تكن جميع النبوءات تتصف بالمصداقية المطلقة فبعضها لم يتحقق أو تحقق جزء منها أو قريب مما تنبأ عنه .

١١- وفي ختام تلك النتائج نشير إلى أنَّ العامل الغيبي (النبوءات) كان له الاثر الكبير في إضعاف الأمويين ومن ثم سقوطهم ونجاح العباسيين وانتصارهم ، بالإضافة إلى بقية العوامل والنظريات والتي تعرضنا لها بشيء من التفصيل والتوضيح في هذه الدراسة .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً / المصادر الأولية

القرآن الكريم

١- البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ/٨٩٢م)، انساب الاشراف ، تحقيق : محمد حميد الله ، دار المعارف (مصر – ١٩٧٩م)

٢-ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ط١، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ١٩٩١م)

٣-ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، شرح نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام) ، تحقيق : نخبة من الأفاضل ، ط١ ،(قم المقدسة ـ ١٩٥٩م)

٤- ابن خلدون ، عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ / ١٤١٠م) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار احياء التراث العربي ، (بيروت ـ د.ت)

٥-الدينوري ، أحمد بن داود ، (ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥م) ، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر ، مراجعة جمال الدين الشيال، ط١، دار أحياء التراث العربي ،(القاهرة ،١٩٦٠م)

٦- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م). تاريخ الخلفاء ، تحقيق : لجنة من الأدباء ، مطابع معتوق اخوان – (بيروت ـ د.ت)

٦-الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م) ، الملل والنحل ،تحقيق : محمد سيد كيلاني ، المطبعة : دار المعرفة ، الناشر : دار المعرفة – بيروت – لبنان ، ١٩٦١م.

٧-الصدوق ، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١ هـ/ ٩٨٣م) ، الامالي ، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية ، ط١ ، مؤسسة البعثة – (قم المقدسة ـ ١٤١٧هـ).

٨-ابن طباطبا ، محمد بن علي (ت٧٠٩هـ / ١٣٠٥م) ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، (بيروت – دار صادر) د.ت

٩-ابن طاووس ، رضي الدين علي بن موسى (ت ٦٦٤هـ / ١٢٦٥م) ، اللهوف على قتلى الطفوف ،ط١، (قم المقدسة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م

١٠-الطبراني ، سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ/ ٩٦٢م) ، المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، ط٢ ، (بيروت ـ ١٩٨٣م)

١١-الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م) ، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق (نخبة من العلماء) مؤسسة الاعلمي، (بيروت-١٩٨٣)،

١٢-الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م) ، الفهرست ، تحقيق : الشيخ جواد القيومي ، ط١،(قم المقدسة ـ ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م).

١٣-ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله (ت ٥٧١ هـ / ١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق : علي شيري ، دار الفكر ، (بيروت ـ ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤م).

١٤-ابو الفرج الاصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٦ م)،مقاتل الطالبيين ، تحقيق : كاظم المظفر ، ط٢ ، المكتبة الحيدرية ، (النجف – ١٩٧٤م)

١٥- ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ،(ت٢٧٦هـ / ٨٨٩م) ، الإمامة والسياسة ،تحقيق محمد الزيني ،د.ط ،مؤسسة الحلبي،(١٩٦٧م) .

١٦- مجمع الكنائس الشرقية ، الكتاب المقدس ، ط٢ ، دار المشرق ، (بيروت-١٩٨٨م)

١٧- المسعودي، ابو الحسن، علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ،ط٣، دار الهجرة ،(ايران ـ١٤٠٤هـ – ١٣٦٣ ش – ١٩٨٤م)

١٨- المروزي ، أبي عبد الله نعيم بن حماد (ت ٢٢٩ هـ / ٨٤٤ م) ، الفتن ، حققه وقدم له : الدكتور سهيل زكار ، دار الفكر ، (بيروت-١٩٩٣م)

١٩- مجهول ، مؤلف (من اعلام القرن الثالث الهجري) ، اخبار الدولة العباسية ، تحقيق : الدكتور عبد العزيز الدوري – الدكتور عبد الجبار المطلبي دار الطليعة ، (بيروت -١٩٧١م)

٢٠-اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب (ت٢٩٢هـ/ ٨٩٤م) ، تاريخ اليعقوبي، دار صادر ، (بيروت: د.ت).

ثانياً- المراجع العربية الثانوية

١- الاقصم ، ابراهيم بن يوسف ، أثر الاحاديث النبوية الواردة في خلفاء الدولة الاموية في الكتابة التاريخية ، ط١ ، (الرياض -٢٠٠٨م)

٢- البريطاني ، ابو زكريا ، النبوءات المحرمة ، ترجمة : سلمى الشعراني ، مركز دلائل ، ط١ ، (الرياض -٢٠٢١م)

٣-حسن ، إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط١٤ ، دار الجيل ، (بيروت -١٩٩٦م)
٤-الخضري ، محمد بك ، الدولة الأموية ، تحقيق : محمد العثماني ، دار القلم للتوزيع (د.ت- بيروت)
٥-الدوري ، عبد العزيز ، العصر العباسي الأول ، ط٣ ، دار الطليعة ،(بيروت -١٩٩٧م)
٦-زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن الإسلامي ، مراجعة وتعليق : د. حسين مؤنس ، دار الهلال ، ٢٠٠١م.
٧-سلطان ، عبد المنعم عبد الحميد ، العرب والفرس ، المكتب الجامعي ، ٢٠١٠م
٨-شعبان ، محمد عبد الحي ، الثورة العباسية ، دار الدراسات الخليجية . ١٩٧٠م .
٩-الشنتناوي ، احمد ، التنبؤ بالغيب قديماً وحديثاً ، دار المعارف ، (القاهرة -١٩٥٩م)
١٠- العاملي ، جعفر مرتضى ، مختصر مفيد ، المركز الاسلامي للدراسات ، ط١ ، (بيروت-٢٠٠٥م)
١١-عبد الحميد ، صائب ، فلسفة التاريخ في الفكر الاسلامي ، دار الهادي ، ط١ ، (بيروت -٢٠٠٧م).
١٢-عبد اللطيف ، عبد الشافي ، العالم الاسلامي في العصر الأموي -دراسة سياسية - ، دار السلام ، ط١ ، (القاهرة -٢٠٠٨م
١٣-عطوان ، حسين ، الدعوة العباسية تاريخ وتطور ، ط٢ ، دار الجيل ، (بيروت -١٩٩٥م)
١٤-العدوي ، أحمد ، الطاعون في العصر الأموي ،ط١، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،(بيروت- ٢٠١٨م)
١٥-فوزي ، فاروق عمر، الثورة العباسية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد -١٩٨٨م).
١٦-محمد ، نبيلة حسن ، تاريخ الدولة العباسية ، دار المعرفة الجامعية ، (الاسكندرية -١٩٩٣)
١٧-الملاح ، هاشم يحيى ، المفصل في فلسفة التاريخ ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، (بيروت -٢٠٠٧م)
١٨-المهايني ، توفيق ، تاريخ الخلافة الاموية والعباسية والدول الاسلامية والعصور الوسطى في اوربا ، مطبعة دار النهضة العربية ، (دمشق - ١٩٤٦م)
١٩-الموسوي ، جلال ، السفياني حتم مر ، ط١ ، (النجف -١٤٢٩هـ)
٢٠-الوكيل ، السيد محمد ، العصر الذهبي للدولة العباسية ، دار القلم دمشق ، الدار الشامية بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م

ثالثاً- المراجع الاجنبية المعربة

١-جوزف ، هورس ، قيمة التاريخ ، ترجمة : نسيم نصر ، منشورات عويدات ، ط٣ ، (بيروت -١٩٨٦م).
٢-ديورانت ول واريل ، دروس من التاريخ ، ترجمة : يوسف ربيع ، عصير الكتب ، (القاهرة -٢٠٢٠م)
٣-شيشرون ، ماركوس توليوس ،علم الغيب في العالم القديم ، ترجمة وشرح : توفيق الطويل ، مطبعة الاعتماد ، (مصر -د.ت)
٤-شوشان ، بواز ، شعرية التاريخ الإسلامي ، ، ترجمة : حيدر الكعبي ، ط١ ، (بيروت-٢٠١٦م)
٥-فلوتن ، فان ، السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات المهدية في ظل خلافة بني أمية ، ترجمة : إبراهيم بيضون ، دار النهضة العربية (بيروت -١٩٩٦م)
٦-كوبر ، ريتشارد ، ماذا يخبئ المستقبل للعالم ، ترجمة : محمد رفعت عواد ، المركز القومي للترجمة ، ط١ ، (القاهرة -٢٠١٨م)
٧-هرتز ، فردريك ، القومية في السياسة والتاريخ ،ترجمة :عبد الكريم احمد ، مراجعة :ابراهيم صقر ،(القاهرة -٢٠١١م)
٨-ويد جري ، البان .ج. ، التاريخ وكيف يفسرونه من كنفوشيوس إلى توينبي ، ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد ، ط٢ ، مصر

رابعاً- الرسائل الجامعية والابحاث

١- زيدان ، زياد صبري ، الانعطافات في مجرى الاحداث التاريخية في العراق في ضوء نظريات فلسفة التاريخ ، اطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، في جامعة واسط ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، ٢٠٢١م.
٢- سمار ، سعد عبود ، ادراك الغيب عند العرب قبل الإسلام ، بحث منشور في مجلة واسط للعلوم الانسانية ، العدد(١١)
٣- الفوزان ، فوزية صعب ، دراسة لآراء ابن خلدون في الدولة الاموية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة ام القرى ، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، ١٩٩٥م
٤- الكرعاوي ، علي دهش حلو ، الرواية السياسية عن الدولة الاموية في كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة الكوفة ، كلية الآداب ، ٢٠١١م